الدكتور عمار هلال
أستاذ محاضر سابقا
معهد التاريخ - جامعة الجزائر

العلماء الجزائريون
في
البلدان العربية الإسلامية
فيما بين القرنين
التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)

الطبعة الثانية


ديوان المطبوعات الجامعية

رقم النشر: 4.07.4134
رقم ر.د.م.ك (I.S.B.N): 978.9961.0.0056.4
رقم الإيداع القانوني: 261- 1995

فهرس المواضيع

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

مقدمة

مما لا ريب فيه أن الثغرات الموجودة في تاريخنا الوطني المكتوب بأقلام وطنية وغير وطنية، قد يلمسها الباحث في جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بشكل ملحوظ. وقد يكون الجانب الأخير أكثر إهمالا من قبل الأقلام الجزائرية، لندرة مصادره ومراجعه، نظرا للبس الذي يعتري فتراته، في كثير من الأحيان فإن الباحثين ينصرفون عنه ولا يولونه الاهتمامات التي هو جدير بها. والذي إنا في حيرة من أمره، هو أن الشبان (الباحثين) الذين يسجلون في الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، يتهافتون على الانتساب إلى هذا النوع من الدراسات ولكن عندما يتعلق الأمر بإعداد بحث جاد وجديد، يسعى كل واحد منهم للانفلات من الموضوع المقترح عليه، باحثا عن موضوع جاهز يكلفه أدني جهد ممكن في البحث عن مادته وإعداده، وهذه مشكلة من المشاكل الهامد التي تحول دون ترقية الدراسات التاريخية في بلادنا، والتي تتفرع عنها مشكلة أخرى أكثر خطورة، وهي النظرة الاجتماعية إلى (الشهادة). (فالشهادة) أصبحت عندنا، ينظر إليها كغاية في حد ذاتها، ووسيلة من وسائل أكل الخبز، لاغير. ولا يهم صاحبها معناها العلمي والأدبي. وما دامت نظرتنا إلى الأمورالعلمية بهذا النحو، لن يستقيم أبدا للبحث العلمي ولن يأخذ طريق الجد، ولن يصطبغ بالصبغة العلمية، التي من المفروض أن يتخذها كدرع واق أمام السلبيات التي تهدد تطوره ومصيره، والمؤكد بالنظر لما يقدم حاليا لنيل (شهادة الماجستير) فإن البحث العلمي عندنا في خطر كبير، لا ندري إلى أي شاطئ من شواطئ الخراب سيرمي الجامعة الجزائرية، بل الوطن كله والسؤال الكبير هنا من المسؤول عن هذا الخراب والتخريب المقصودين؟

ومهما يكن، فموضوع العلماء الجزائريين، غير جديد بالنسبة لي، فلقد سبق لي الاهتمام به في إطار الدراسات العليا الجامعية التي حضرتها في الجزائر وفرنسا، ولكن خلال الفترة المعاصرة فقط (1871 - 1962) ومن هنا لمست نقصا وعدم تكامل للموضوع ووجود ثغرات تاريخية كبيرة فيه اسعي بهذه الدراسة لسد، على الأقل، البعض منها.

وقد لاحظت أن الكتابات الكلاسيكية، في هذا الموضوع تهتم غالبا بفترة تاريخية ما، دون الأخرى، أو بعالم من العلماء الجزائريين عاش في فترة ما دون غيره وليس لدينا نظرة شاملة كاملة لهؤلاء خاصة في البلدان العربية الإسلامية مغربا ومشرقا.

وموضوع العلماء الجزائريين قديم في حد ذاته وتناوله كثير من الكتاب والباحثين واهتم به قديما وحديثا المؤرخون وأصحاب التراجم والسير، لذلك ارتأينا تقديمه إلى القارئ في ثوب جديد، وطبقنا عليه منهجية علمية تجعل المتتبع له يقف بكل سهولة على علمائنا مغربا ومشرقا في كل عصر من العصور على حدة. ومن هنا كان اهتمامنا أكثر بتعدادهم وذلك على حساب نوعيتهم وإنتاجهم، وإن لم تغفل نوعيتهم تماما، فإن ذلك يتطلب وحده بحثا خاصا في هذا الموضوع.

ولتوجيه الباحث، في هذا الموضوع، حرصنا كل الحرص على ذكر كل المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، ومنها ما اطلعنا عليه واتخذناه قاعدة لبحثنا، ومنها من ذكره غيرنا، ولم نعثر عليه في داخل البلاد وفي خارجها.

أما عن التراجم التي وردت في الكتاب، ففي حد ذاتها لا جديد فيها، لأن هدفنا هو وضع علمائنا، فيما بين القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين، كل في إطاره الزماني والمكاني، مع إبراز المكانة العلمية والأدبية التي كان كل واحد يحتلها، في المغرب وتونس، والأندلس والمشرق العربي، وتركيا ويلاحظ القارئ في ختام كل مرحلة من المراحل التي درسناها، قائمة للمبرزين منهم، في البلدان المذكورة.

وموضوع العلماء الجزائريين، يطرح أكثر من تساؤل، ويجيب في نفس الوقت على كثير من التساؤلات التي يطرحها بإلحاح جيل اليوم، وغيره من الأجيال التي سبقته، والتي لا دراية لها بتطور الحركة العلمية والثقافية الجزائرية، عبر العصور، فما هي هذه التساؤلات والإجابات يا ترى؟ ثم لماذا هذه الحركة الدائمة للعلماء الجزائريين، نحو البلدان

الإسلامية مغربا ومشرقا؟ وهل كانت هذه البلدان أحسن حال علميا وثقافيا من الجزائر، وفي كل الفترات التاريخية، ليرحل إليها علماؤنا أم هنالك أسباب أخرى؟

ومن زاوية أخرى والمكائد تحاك ضد الجزائر الثائرة، وضد ثورتها، وانتمائها العربي والإسلامي فلقد يلمس القارئ أكثر من حجة ورد على المتهجمين علينا في عقر دارنا، بطرح مسائل مفروغ منها، ((كالهوية الجزائرية)) و((الانتماء الثقافي والحضاري للجزائر)) وغيرها من المواضيع المغرضة، التي إن خدمت طرفا فإنما تخدم الامبريالية العالمية وأعداء الجزائر المتربصين في الداخل والخارج.

عمار هلال
بوزريعة 18 ديسمبر 1993

الفصل الأول
العلماء الجزائريون في الأندلس

العلماء الجزائريون في الأندلس

من الأحداث الهامة في تاريخ العرب، التي غيرت مجريات واقعهم السياسي والحضاري، بدون شك، نجاحهم في فتح الأندلس، في بداية القرن الثامن الميلادي، مما جعلهم يضعون رجلا في شمال إفريقيا وأخرى في أوروبا، ويطمحون إلى فتح فرنسا، وغيرها من البلدان المجاورة لها. ولأسباب يطول شرحها هنا اخفق العرب في مسعاهم هذا، واكتفوا بضم الأندلس إلى دولتهم الناشئة.

والشيء الذي لا يختلف فيه اثنان إن العرب خلال ثمانية قرون بالتقريب في الأندلس، حضاريا، قد أعطوا أكثر مما أخذوا، بحيث لا تزال إلى يومنا هذا، في شبه جزيرة ايبيريا، بصماتهم واضحة جلية في أكثر من ميدان، ولقد انتبه إلى ذلك الأوروبيون عامة، والإسبان خاصة، منذ بداية عصر النهضة في أوروبا، واعتبروا ذلك جزءا مكملا لتراثهم الحضاري، وحاولوا إبرازه في سياق يتماشى وواقعهم الثقافي، وهو ما يشكل اليوم بالنسبة للإسبان، محل اعتزازهم ومفخرتهم، في تغذية ثقافتهم المحلية بالعنصر العربي الإسلامي، على الأقل فيما يخص شبه جزيرة ايبيريا أي الأندلس وفي هذا السياق اوجد الإسبان معاهد ومؤسسات وجمعيات ثقافية تهتم بالعلاقات العربية الإسبانية عامة وبالحضارة العربية في الأندلس خاصة.

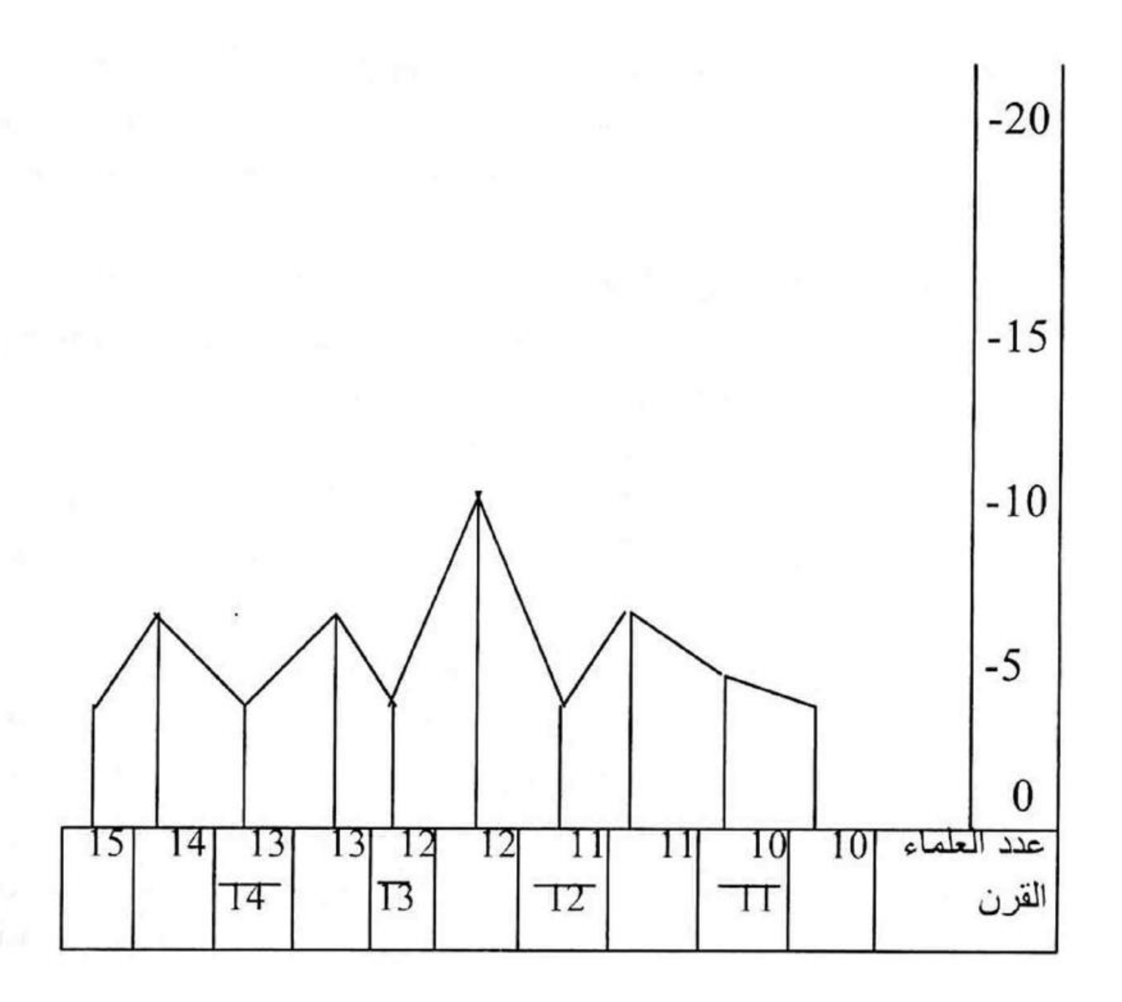
ومعروف عامة، تأثير الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية عن طريق الأندلس عامة وقرطبة خاصة، ولقد شكل هذا الموضوع محل اهتمام الأوروبيين، الذين تناولوه حسب وجهات نظرهم الخاصة بهم، ولكن ما هو مدى اهتماماتنا نحن بهذا الجانب الحضاري، في الأندلس، الذي هو جزء لا يتجزءا من حضارتنا؟ ومهما كانت الحجج والمبررات، فان تجاهل ثمانية قرون، من التاريخ العربي الإسلامي، في الأندلس، يبقى علامة مميزة لتخلفنا الحضاري وعدم مسايرتنا للتقدم والتطور الحضاري العالمي. وفي هذا الإطار، ندرج علاقة الجزائر بالأندلس، من خلال العلماء الجزائريين في الأندلس فيما بين القرنين العاشر والخامس عشر الميلاديين، الرابع والعاشر الهجريين، علما أن هذا التاريخ

تحدده حركة علماء الجزائر في اتجاه الأندلس، وتواجدهم بها بشكل يستقطب النظر، أما عن علاقات الجزائر عامة وشمال إفريقيا خاصة، السياسية والاقتصادية فقد تراجعت كما سبقت الإشارة إلى ذلك إلى أوائل القرن الثامن الميلادي.

والأندلس (Andalousia) اسم أطلقه العرب على شبه جزيرة ايبيريا عامة بعد دخولهم إليها وفتحها وذلك على يد طارق بن زياد الذي هو أصلا بربري، والذي استطاع عبور ما يعرف حاليا بمضيق جبل طارق، ونزل الأندلس يتقدم جيشا هاما من العرب والبربر، استطاع بواسطته دحر الإسبان وضم الأندلس إلى الدولة العربية الناشئة.

و بعد أن استتب الأمر للعرب في الأندلس تطلعوا إلى العبور إلى فرنسا عبر جبال الألب، ولم يوقف زحفهم نحوها إلا شارل مارتيل (Charles Martel) وذلك في معركة بواتي (Poitiers) سنة 732م، ولو نجح العرب في فتح فرنسا، لتغيرت مجريات التاريخ تغيرا يصعب على المرء التكهن بما يترتب عن ذلك من نتائج لصالح العرب وحضارتهم.

وبعد عقدين من الزمن، أي في سنة 752م، فصل الخليفة الأموي عبد الرحمان الأول، الأندلس عن الدولة العباسية، وكوّن أمارة مستقلة عنهم، واتخذ قرطبة قاعدة لها، ثم تلاشت الأمارة هذه وقامت على أنقاضها دويلات صغيرة حكمها ملوك الطوائف، وذلك منذ 1031م، وفيما بين القرنين 11 / 13 الميلاديين، حاول المرابطون ومن بعدهم الموحدون تثبيت الحكم العربي، في الأندلس بأكمله، واستطاعوا ضمه إليهم لمدة زمنية معينة، ولكن في آخر الأمر هزمهم الإسبان، وانحصر سلطان العرب في مملكة غرناطة (1236 - 1492) التي سقطت هي الأخرى في أخريات القرن الخامس عشر الميلادي، وبسقوطها ينتهي سلطان العرب في الأندلس، والأندلس اليوم في اسبانيا الجنوبية تتكون من ثمانية مقاطعات.



ومن هناك يمكن حصر وتحديد المراحل الهامة التي مرت بها حركة العلماء الجزائريين نحو الأندلس كما يلي:

المرحلة الأولى: وتمتد من بداية القرن 10 م إلى بداية القرن 11 م.
المرحلة الثانية: وتمتد من بداية القرن 11 م إلى بداية القرن 12 م.
المرحلة الثالثة: وتنحصر في القرن 12 م (6 هـ).
المرحلة الرابعة: وتقع فيما بين القرنين 12/13 م (6/7 هـ)
المرحلة الخامسة: وتنحصر في القرن 13 م (7 هـ).
المرحلة السادسة: وتقع فيما بين القرنين 13/14 م (7/8 هـ)
المرحلة السابعة: وتنحصر في القرن 14 م.
المرحلة الثامنة والأخيرة: وتنحصر في القرن 15 م (9 هـ).

4 ، 1: المرحلة الأولى: (ق 11 / 10م)

تمتد هذه المرحلة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك من بداية القرن العاشر الميلادي إلى بداية القرن الحادي عشر الميلادي، (6 / 5 هـ) وعدد العلماء الجزائريين في الأندلس حسب تتبعنا لآثارهم هناك، هو 11 عالما، وهم مرتبون حسب تاريخ وفاتهم:

عبد الرحمان التاهرتي(1)، المتوفى (295هـ)، (908م)، أحمد الوهراني، المتوفى سنة (341 هـ)، (952 م) إبراهيم التنسي، المتوفى (387 هـ) (997م) قاسم بن موسى الضني، المتوفى (390 هـ)، (1000م)، قاسم التاهرتي (ق 4 هـ)، (10م)، زكريا ابن الاشج (310 - 393 هـ)، (922 - 1010 م)، البغائي أحمد (354 - 401 هـ)، (956 - 1011 م)، محمد الطبني (300 - 394 -)، (912 - 1014).

والملاحظ على علماء هذه الفترة الزمنية، أنهم كلهم توفوا بالأندلس، وولدوا ونشأوا وتعلموا بالجزائر، عدا واحدًا منهم، الذي رحلت أسرته إلى الأندلس فولد هنالك، وهي ظاهرة لا نكاد نلاحظها في تونس أو المغرب.
ومن خلال تتبعنا لآثارهم، في الأندلس يبدو أن عبد الرحمان التاهرتي بن بكر بن حماد(2)، أبو زيد المتوفى سنة (295 هـ)، (908م) كان له السبق في الرحيل إلى الأندلس، ولد، وتعلم، ونشأ في تيهرت، ثم رحل إلى الأندلس، وجلس للتدريس في قرطبة حيث اشتهر بدروسه في التفسير والحديث، قال عنه ابن الفرضي:" حدث عن أبيه وكتب عنه غير واحد من شعر أبيه ومن حديثه.."(3) توفي في قرطبة.

ومن علماء الربع الثاني للقرن العاشر الميلادي (4 هـ)، الوهراني أحمد بن أبي عون(4)، المتوفى سنة (341 هـ)، (952 م)، وهو قاض من علماء الفقه المالكي، ولد، ونشأ، وتعلم في وهران، التي ولي قضاءها، ومنها رحل إلى الأندلس واستقر في قرطبة، وتوفي بها.

ومن العلماء الجزائريين، في الأندلس، الذين كادوا يدركون نهاية القرن العاشر الميلادي، (4 هـ) إبراهيم بن عبد الرحمان التنسي، أبو إسحاق(5)، المتوفى سنة (387 هـ) (997م)، عالم بالفقه المالكي. ولد، ونشأ، وتعلم في تنس، رحل إلى الأندلس واستقر بمدينة الزهراء، وأخذ عن مشاهير علمائها، ثم ولي خطة الإفتاء بها، وبقي هكذا إلى أن وافاه أجله بها.

ومن علماء نفس الفترة الزمنية، قاسم بن موسى بن يونس الضني(6) المتوفى نحو (390هـ)، (1000م)، وهو عالم بالحديث، من فقهاء المالكية، ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر، رحل إلى الأندلس، وجلس إلى التدريس في قرطبة، روى عنه بعض علماء الأندلس وأثنوا عليه.

ومن العلماء الجزائريين الذين أدركوا بداية القرن الحادي عشر الميلادي (5 هـ) زكريا بن بكر بن أحمد الغساني، المعروف أكثر بابن الاشج، (310 - 393 هـ)، (922 - 1003 م) هو عالم فاضل، محدث، ولد ونشأ وتعلم بتهريت، رحل مع أسرته إلى الأندلس سنة (326 هـ) فأخذ عن بعض علمائها، ومنها رحل إلى المشرق العربي فلقي بمصر أبا الطيب المتنبي وأخذ عنه ديوان شعره رواية، ثم عاد إلى قرطبة، حيث توفي(7).
قال عنه ابن الفرضي:" كان حليما طاهرا، وأجاز لنا جميع ما رواه..."(8).

وخلال نفس الفترة عاش، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان التاهرتي، أبو الفضل(9)، (309 - 395 هـ، (921 - 1005م) وهو عالم بالحديث، حافظ له، من الزهاد ولد في تيهرت، ورحل مع أسرته إلى الأندلس سنة (317 هـ) وهو ابن ثماني سنين، وهنالك تعلم ونشأ وأخذ على أشهر علماء عصره، ذكره أكثر من واحد من معاصريه واثنوا عليه ونعتوه بالثقة والفضل والعلم والصلاح والزهد(10).

وقد يكون أشهر هؤلاء جميعا، الوهراني عبد الرحمان بن عبد الله بن خالد، المعروف بالتجاني وبابن الخزار(11)، المتوفى (400هـ)، (1009 م)، من كبار فقهاء المالكية في عصره، عارف بالحديث ورجاله، له اهتمامات بعدة علوم من علوم عصره، ولد ونشأ وتعلم في وهران، ثم رحل في طلب العلم فأخذ عن علماء تونس، ومصر، والحجاز، والعراق، وخراسان، والجبل، ونيسأبور، وبلخ، ودامت رحلته هذه ما يربو عن عشرين سنة، تتلمذ فيها على يد أبي بكر القطعي (273- 368 هـ)، وأبي بكر الأبهري (289 - 375 هـ)، ثم عاد ودخل الأندلس، فروى عنه الإمامان ابن عبد الله البر (368 - 463 هـ)، وابن حزم (384 - 456 هـ).

وهناك أيضا أحمد بن علي بن أحمد، أبو العباس الباغائي(12)، (245 - 401 هـ) (956 - 1011 م) فقيه مالكي، من كبار فقهائهم في عصره، من أهل باغاية وإليها ينتسب. رحل إلى المشرق وأخذ عن علماء مصر وغيرها، ثم دخل الأندلس سنة (376هـ)، وجلس إلى التدريس في المسجد الجامع بقرطبة، استأدبه المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمان،

ثم خلفه بغيره، رقاه المؤيد بالله هشام بن الحكم في دولته الثانية (400 / 403 هـ)، إلى خطة الشورى فلم يطل أمره، وتوفي بعد سنة، قال عنه أحدهم:" كان ربانيا في علوم الإسلام، جم الرواية، شديد الحفظ آية "في ذلك.. وكان بحرا من بحار العلم..."(13).

ومن علماء الجزائر، في الأندلس، خلال هذا العصر(14)، (4 هـ) الطبني محمد بن الحسين، أبو عبد الله (15)، (300 - 394 هـ)، (912 - 1014م) وهو شاعر بليغ، أديب بارع، ينحدر من بيت أدب وفضل وحكم، من أهل طبنة، عاصمة الزاب، وإليها ينسب، رحل إلى الأندلس سنة (323هـ)، فكان من شعراء الخليفة الأموي الأندلسي الحكم بن عبد الرحمان الناصر(302 - 366 هـ). قال عنه أحدهم:" لم يصل إلى الأندلس أشعر منه، توفي بقرطبة وشاهد جنازته المظفر عبد الملك بن أبي عامر(16).

هذا عن المرحلة الأولى، لحركة العلماء الجزائريين، نحو الأندلس، والتي حصرناها في نهاية القرن الثالث الهجري، ونهاية القرن الذي يليه (العاشر الميلادي وبداية القرن الذي يليه)، وما يمكن ملاحظته عنها بسرعة، مقارنة بتونس والمغرب الشقيقين، فإنه من حيث تعدادهم، قد فاق عدد علمائنا في الأندلس، خلال هذه الفترة، عددهم في كل من تونس والمغرب، بتسعة أعشار (10 / 9) ولكن من حيث نوعيتهم العلمية والأدبية، فهناك فرق كبير بحيث لا يمكن مقارنة ابن رشيق الحسن أبو علي(17)، (385 - 436هـ)، (995 - 1071م) أو ابن الزبيب الحسن التاهرتي (340 - 420 هـ)، (951 - 1029م)، من علمائنا في تونس، بأي عالم جزائري، في الأندلس، ولو كان ابن الأشيج، أو الباغائي أحمد أو غيرهما، من علماء أهل القرن الرابع الهجري هنالك.

4 . 2: المرحلة الثانية (ق 11 م)، (5 هـ)

ومن العلماء الجزائريين في الأندلس خلال هذه الفترة حسب تاريخ وفاتهم، الطبني زيادة الله (336هـ)، (947 - 1024 م)، الطبني محمد بن يحي، المتوفى سنة (426 هـ)، (1035 م)، الوهراني عبد الله، المتوفى سنة (429هـ، (1038 م)، حسين المسيلي، المتوفى سنة (431هـ)، (1040م)، عبد العزيز الطبني (436 هـ)، (1044م)، البوني مروان بن علي (439هـ)، (1047م)، والطبني عبد المالك (396 - 457 هـ)، (1006 - 1056م)، وعبد الله المسيلي، المتوفى (473هـ)، (1080م).

ومقارنة بكل من تونس والمغرب(18)، فما لاحظناه عن هذه الفترة السابقة ينطبق تماما على هذه المرحلة، لا من حيث عدد علمائها فحسب، ولكن أيضا من حيث نوعيتهم ومدى شهرتهم.

وما يلاحظ أيضا على علماء هذه الفترة، أن 4/9 منهم أصلا من طبنة، عاصمة الزاب قديما، وأن 8/9 منهم من الشرق الجزائري عدا واحداً منهم، الذي هو أصلا من غرب البلاد من تيهرت بالضبط.

ومن أوائل الطبنيين، في الأندلس، خلال هذه الفترة، وكذلك أشهرهم الطبني زيادة الله بن علي بن الحسين بن محمد بن أسد التميمي(19)، (336 - 415 هـ)، (947 - 1014م) وهو أديب، شاعر من الطبقة الراقية، كان له شأن يذكر، بين معاصريه، في قرطبة، ولد ونشأ وتعلم في طبنة، رحل إلى الأندلس واستقر بقرطبة، وهو:" أول من بنى بيت - الطبنيين في قرطبة - ورفع بالأندلس صوته بنباهة سلفهم، وكان نديم محمد بن أبي عامر، ظريفا ممتع الحديث، رفيع الطبقة في صنعة الشعر، حسن البديهة والروية"(20).

ومن بيت الطبنيين في قرطبة، والمعاصرين لزيادة الله الطبني، السابق الذكر، الطبني محمد بن يحي بن الحسين، أبو عبد الله(21) المتوفى سنة (426هـ)، (1075م)، ولد ونشأ وتعلم بطبنة، وهو أديب، شاعر، رحل إلى الأندلس في أيام ابن أبي عامر، وكان يتردد على مجلس أبي حزم بن جوهر (364 - 435 هـ)، وابنه أبي الوليد، كما كان يجالس ابن شهيد (382- 426 -)، ذكره بعض معاصريه وأثنوا عليه.

ومن العلماء الجزائريين في الأندلس خلال هذه الفترة، الذين جمعوا بين العلم والتجارة، الوهراني عبد اله بن يوسف بن طلحة، بن عمرون(22) المتوفى سنة (429 هـ)، (1038 م)، فقيه مالكي، عالم بالحديث، له اهتمامات في علمي الحساب والطب، ولد، ونشأ، وتعلم بوهران. قال عنه أحد معاصريه:" قدم الأندلس تاجرا سنة (429 هـ)، وسكن إشبيلية وقت السيل الكبير، وكان من الثقاة، له رواية واسعة عن شيوخ إفريقية.. وكان له علم بالحساب والطب، وكان نافدا فيهما..."(23).

ومن المعاصرين لعبد الله الوهراني، حسين بن محمد بن سلمون، أبو علي المسيلي(24)، المتوفى سنة (431هـ)، (1040م)، وهو فقيه مالكي، له اهتمامات ببعض علوم عصره، ولد، ونشأ، وتعلم، في المسيلة، بالشرق

الجزائري، رحل إلى الأندلس فولاه سليمان بن حكم الشورى بقرطبة. مات بها ودفن في مقبرة العباس.

ومن بيت الطبنيين، في الأندلس، والذين ينحدرون من صلب زيادة الله الطبني، السابق الذكر: عبد الرحمان بن زيادة الله بن علي الطبني(25)، (367 - 401 هـ)، (977 - 1010م) متأدب، محدث، ولد بقرطبة، وكان أبوه قد انتقل إليها واستوطنها، وعبد العزيز بن زيادة الله الطبني(26)، المتوفى سنة (436 هـ)، (1044م)، محدث، من فضلاء الرجال. وكذلك عبد المالك بن زيادة الله بن علي، أبو مروان(27)، (396 - 457 هـ)، (1006 - 1065م)، وهو شاعر، عالم باللغة والأدب والحديث والفقه. مات بقرطبة(28).

ومن العلماء الجزائريين المتأخرين خلال هذه الفترة(29)، عبد الله بن حمو، المسيلي، أبو محمد(30)، المتوفى سنة (473هـ)، (1080م)، وهو فقيه عالم، قاض، كاتب، عارف بالأصول والفروع، أصله من المسيلة، حيث ولد، ونشأ، وتعلم، ثم رحل إلى المغرب، حيث ولي قضاء سبتة، ومنها رحل إلى الأندلس فاستوطن المرية، وجلس بها للتدريس إلى أن توفي بها.

وبعبد الله بن حمو المسيلي نترك مرحلة من مراحل حركة العلماء الجزائريين نحو الأندلس لننتقل إلى الأخرى.

4 • 3: المرحلة الثالثة (ق 12 م)، (6 هـ)

تنحصر هذه المرحلة في القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري، وتعتبر من حيث تعداد علمائها، في الأندلس مرحلة فاصلة بين عهدين، أحدهما متواضع والثاني مزدهر، وبسبب ازدهار الحركة الثقافية والعلمية لا في الأندلس فحسب ولكن أيضا في جميع أقطار الشمال الإفريقي، هو أن الأوضاع السياسية على عهد الموحدين، كان لها دور في ذلك علما أن الموحدين قد استطاعوا ولو لمدة معينة توحيد كل أقطار الشمال الإفريقي، تحت سلطانهم، ومدوا نفوذهم إلى الأندلس، التي ضموها إلى ملكهم وهو الشيء الذي ساعد العلماء الجزائريين على ربط الصلات بينهم وبين الأندلس، وما يقال عن عهد الموحدين يقال كذلك عن عهد المرابطين، الذي سبقت الإشارة إليه والذي هو الآخر يعتبر عهدا متميزا للحركة الثقافية والعلمية في الشمال الإفريقي سابقا، وأقطار البلدان المغاربية حاضرا.

ويمكن وضع قائمة العلماء الجزائريين في الأندلس على النحو التالي، حسب تاريخ وفاتهم، خلال المرحلة التي نحن بصدد دراستها:

التاهرتي الحسن، المتوفى سنة (501هـ)، (1107م)، موسى الصيقل، المتوفى سنة (514 هـ)، (1120م)، يحي الصيقل، المتوفى سنة (514 هـ)، (1120م)، أبو عبد الله عرجون، المتوفى سنة (534هـ)، (1139م)، علي البوني 536 هـ)، (1141م)، أبو العباس القسنطيني، المتوفى سنة (537هـ)، (1142م)، أحمد المسيلي، المتوفى سنة (538 هـ)، (1143م)، ابن حسن زكون (484 - 1158 م)، عبد الله الهمذاني، المتوفى (557هـ)، (1162م)، ابن أبي جنون التلمساني، المتوفى سنة (577هـ)، (1162م) محمد علي الرمامة (478-567هـ)، (1085 - 1171م) ابن الحسن الأشيري، المتوفى سنة (569هـ)، (1173م)، يوسف بن إبراهيم الورجلاني (500 - 570 هـ)، (1107-1175 م)، ميمون الفرداوي، المتوفى (584هـ)، (1189م)، موسى الأشيري، المتوفى سنة (589هـ)، (1193م)، علي بن محشرة (ق6 هـ)، (ق12م).

إن الطابع الغالب على هؤلاء العلماء، هو أنهم تقريبا كلهم من الصف الثاني أدبيا وعلميا، ولا يكاد المرء يوجد بينهم عالم واحد تصدرهم شهرة وعلما وثقافة على المستويات الثلاثة: الجزائر، بلده الأصلي، ثم أقطار الشمال الإفريقي، أو الأندلس، عدا واحداً منهم، وهو الورجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، (500 - 570 هـ)، (1107 - 1175 م)، وذلك بشيء من التجاوز الاضطراري نورد في المتن بعضهم.

ومن بينهم الصيقل موسى بن عيسى بن علي أبو عمران المعروف بابن الصيقل(31)، المتوفى حوالي (514 هـ)، (1120 م) من فقهاء المالكية. محدث حافظ للحديث، ولد، ونشأ، وتعلم في تلمسان، ثم رحل صحبة أخيه يحي إلى مرسية بالأندلس، بعد سنة (490 هـ)، (1097م)، وأخذا عن القاضي المحدث أبي علي الصدفي المتوفى سنة (514 هـ) (1120م)، وأثنيا عليه قولا وكتابة.

وما يقال عن ابن الصيقل هذا، يقال عن أخيه، الصيقل يحي بن عيسى بن علي، أبو الحسن، المعروف بابن الصيقل(32)، حوالي (514هـ) (1120م)، وكما هو واضح فتاريخ ولادتهما وكذلك وفاتهما غير معروفين تدقيقا وتحقيقا. وهو قاض، على عكس أخيه الذي لم يتول القضاء، محدث، حافظ للحديث، من فقهاء المالكية، ولد، ونشأ، وتعلم في تلمسان.

وفي نفس الفترة عاش عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون التلمساني(33)، المتوفى سنة (534 هـ)، (1139م)، هو فقيه مالكي، حافظ للحديث، قاض، له اهتمامات بعدة علوم من علوم عصره، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان، ومنها رحل إلى الأندلس، حيث مكنه علمه الوافر واطلاعه الواسع على تولية قضائها، لمدة زمنية ما، ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث توفي. قال عنه أحدهم:" كان يميل إلى الحديث ويحفظ الكثير منه، وقد أخذ عنه، واستقضى بغير موضع من العدوة إلى الأندلس"(34).

ولعل أشهر هؤلاء جميعا، خلال هذه المرحلة التي نحن بصدد دراستها، يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني، أبو يعقوب(35)، (500 - 570 هـ)، (1106 - 1175 م)، وهو مؤرخ، مفسر، من أكابر الفقهاء في عصره، من أهل الورجلان مولدا، ونشأة، وتعليما، ووفاة. رحل في شبابه إلى الأندلس طلبا للعلم، فاستقر في قرطبة، حيث طارت شهرته بين أهلها، الذين شبهوه بالجاحظ، ومنها عاد إلى مسقط رأسه، ثم رحل إلى المشرق العربي، وزار أشهر حواضره العلمية، ولقي أكابر علمائه، ومن المشرق رحل إلى إفريقيا السوداء وجاب غربها ووسطها، ثم عاد ليستقر نهائيا في مسقط رأسه ورجلان منقطعا لخدمة العلم، وقيل:" أنه لم يخرج من داره مدة سبعة أعوام، لم يكن يرى فيها إلا ناسخا، وللأقلام باريا، وللدراسة فاعلا، أو للحبر طابخا، أو للدواوين مقابلا أو للكتب مفسرا"(36). وبقي هكذا إلى أن وافاه أجله في مسقط رأسه.

ومن العلماء الجزائريين في الأندلس، المعاصرين للورجلاني، ميمون الفرداوي بن جبارة بن خلفون، أبو تميم(37)، المتوفى سنة (584هـ) (1189م)، من أكابر فقهاء وعلماء عصره، ولد، ونشأ، وتعلم ببجاية، رحل إلى المشرق العربي طلبا للعلم، ثم دخل الأندلس ولي قضاء بلنسية بين سنتي: (568 / 581 هـ)، ثم عاد إلى بجاية حيث ولي قضاءها. وفي سنة (584هـ)، استدعي إلى مراكش لتولية قضاء مرسية بالأندلس، ولكن الموت كان أسرع منه، مات وهو في طريقه إليها.

ومن علماء هذا العصر(38)، في الأندلس، موسى بن حجاج بن أبي بكر الآشيري(39)، المتوفى سنة (589 هـ)، (1193م)، وهو محدث، حافظ للحديث، أصلا من آشير، استوطن دلس. ثم رحل إلى الأندلس طلبا للعلم، وأقام بها مدة خمس سنوات (535 / 540 هـ)، فأخذ عن علماء إشبيلية وقرطبة، والمرية. ثم عاد إلى أرض الوطن، واستقر مدة في الجزائر

العاصمة، حيث جلس للتدريس، وأم بها في صلاة الفريضة، ثم استقر نهائيا في دلس، حيث قضى أواخر أيامه.

هذا عن المرحلة الثالثة، التي حصرناها كما سبقت الإشارة إلى ذلك، في القرن(12م)، (6 هـ) أما عن المرحلة التي تليها، فهي تلك التي حصرناها فيما بين القرنين 13 / 14 الميلاديين، (6 / 7 هـ).

4 . 4: المرحلة الرابعة (6 / 7 هـ) (ق 12 / 13م)،

ومن علماء الجزائر، خلال هذه الفترة في الأندلس، يمكن ذكر: المتيجي محمد (555 - 625 هـ)، (1160 - 1228 م)، التلمساني محمد بن عبد الحق (536 - 625 هـ)، (1141 - 1228 م)، محمد بن علي الصنهاجي (574 - 628 هـ)، (1154 - 1231 م)، الندرومي محمد بن سحنون (580 - 634 هـ)، (1184 - 1237 م)، عبد الله بن سكات (562 - 641 هـ)، (1166 - 1243 م).

ومن العلماء الجزائريين خلال هذه الفترة، حسب تاريخ وفاتهم محمد بن إسماعيل المتيجي(40)، أبو عبد الله (625 - 625 هـ)، (1160 - 1228 م)، له بعض الشعر، عارف بالحديث ورجاله، له اهتمامات بعدة علوم من علوم عصره، من أهل متيجة إليها ينسب، رحل إلى الأندلس ونزل في مرسية، حيث لقي بعض علمائها، فأخذ عنهم وأعطى، يقول عنه أحدهم:" .. كان مليح الخط والضبط... فاضلا زاهدا، يقول الشعر، وكتب علما كثيرا، وأخذ الناس عنه، وكان أهلا لذلك..."(41).

ومن أشهر علماء الجزائر، في هذه الفترة في الأندلس، محمد عبد الحق الكومي التلمساني(42)، (536 - 625 هـ)، (1141 - 1238 م)، قاض، فقيه، من كبار الفقهاء في عصره، مقرئ، عارف بالحديث ورجاله، متكلم. ولد، ونشأ، وتعلم بتلمسان، وتولى قضاءها مرتين، ثم رحل إلى الأندلس. وكان ذا مرتبة عالية في بلده، مكرما عند السلاطين، والأمراء كثير الكتب، على حد تعبير أحد معاصريه:" .. حميد السيرة، مشاركا في الفقه، وعلم الكلام... معظما عند الخاصة والعامة، وحدث ودرس...(43).

ولعل أشهر علماء الجزائر في الأندلس خلال هذه الفترة محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (548 - 628 هـ)، (1154 - 1231 م)، وهو مؤرخ، أديب شاعر، له اهتمامات بعدة علوم من علوم

عصره، كاللغة، والفقه، والحديث، ولد ونشأ ببرج حمزة (البويرة)، وتعلم في قلعة بني حماد، وبجاية والجزائر العاصمة وتلمسان، رحل إلى الأندلس حيث أخذ وأعطى، وولي الجزيرة الخضراء(44)، ثم قضاء سلا سنة (613هـ)، ثم استوطن مراكش(45)، وتوفي بها.

وهناك أيضا من العلماء الجزائريين المتميزين في الأندلس خلال هذه الفترة، محمد بن سحنون(46)، الكومي الندرومي، أبو عبد الله (580 - 634هـ)، (1184 - 1238)، وهو طبيب، عالم بالعربية وأسرارها، أديب رقيق، أصلا من قبيلة من كومة، التي كانت مواطنها قرب تلمسان. هاجرت أسرته إلى الأندلس، فولد بقرطبة، ومنها انتقل إلى اشبيلية، حيث درس الطب على يد أبي الوليد بن رشد وغيره. كان من أطباء الناصر المؤمن محمد بن يعقوب، ثم من أطباء المستنصر يوسف بن محمد، ثم المتوكل على الله محمد بن يوسف. قال عنه أحدهم: "جليل القدر، فاضل النفس، محبا للفضائل، حاد الذهن، مفرط الذكاء، من جملة المتميزين في علم الأدب والعربية...(47).

ومن العلماء الجزائريين، الذين عاشوا أخريات الفترة التي نحن بصدد دراستها، عبد الله بن حجاج بن عبد الله، المعروف أكثر بابن سكات(48)، (562 -641هـ)،(1166 -1243م). فقيه مالكي معروف في عصره، قاض، له اهتمامات بعدة علوم من علوم عصره. أصلا من آشير، استوطن بجاية، وبها نشأ، وتعلم. رحل إلى الأندلس ولقي بمالاقا بعض علمائها. فأخذ عنهم. ثم عاد إلى بجاية، وولي قضاءها مدة طويلة. توفي بها.

هذا عن هذه المرحلة، لنأتي إلى التي تليها، وهي مرحلة القرن (13م)، (7هـ)، وهي من أغني وأزهى فترات الحركة العلمية والثقافية ليس في الجزائر فحسب ولكن أيضا في كل من المغرب والأندلس.

5.4 المرحلة الخامسة (ق13م)، (7هـ)

وتنحصر هذه المرحلة، في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري. ومقارنة بين هذه المرحلة، وحركة العلماء الجزائريين نحو تونس، خلال نفس القرن(49)، فمن حيث تعدادهم، في الأندلس، فاقوا بكثير عدد علمائنا في تونس.

ومن العلماء الجزائريين، في الأندلس، خلال هذا العصر، حسب تاريخ وفاتهم: الهواري حسن بن حجاج، المتوفى سنة (598هـ)، (1202م)، الوهراني محمد بن علي، المتوفى سنة (601هـ)، (1205م)، بن محمد حسون، المتوفى سنة (606هـ)، (1210م)، مروان البجائي (610هـ)، (1213م)، ابن عبد الرحمان السطاح، المتوفى سنة (629هـ)، (1231م)، يحيى القيسي (649 هـ)، (1251م)، محمد بن عبد الله التلمساني (651هـ)، (1153م)، علي البجائي، المتوفى سنة (652هـ)، (1254م)، محمد بن إبراهيم الغساني، المتوفى سنة (663هـ)، (1264هـ)، إبراهيم التلمساني (609-690هـ)، (1212-1291م)، وأخيرا فتح بن عبد الله التلمساني (ق7هـ)، (ق13م).

ومن المتقدمين، من هذه الفترة، في الأندلس، الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري(50)، المتوفى سنة (598هـ)، (1202م). وهو أديب رفيع الطبقة، كاتب بليغ، من فقهاء المالكية. أصله من ناحية بجاية. أخذ عن مشاهير عصره. سكن مراكش، ودخل الأندلس، مرات عديدة، وولي الخطبة بإشبيلية سنة (580هـ)(51).

وهناك أيضا، محمد علي بن مروان الهمداني، الوهراني(52)، المتوفى سنة (601هـ)، (1205)، فقيه، قاض. من أهل وهران، نشأ بتلمسان، وأصله من الأندلس. ولي قضاء تلمسان، ثم مراكش بين سنتي: 584 / 585، ثم قضاء إشبيلية سنة (592هـ)، ثم عاد ثانية إلى مراكش(53) قال عنه ابن الأبار: ((كان حميد السيرة، شديد الهيبة، عارفا بلا حكام، سريع الفصل بين الخصوم، موصوفا بالعدل والتؤدة، لم يجلد أحدا طول ولايته...))(54).

ومن العلماء الجزائريين الذين تولوا، في الأندلس، خطة القضاء، أيضا، مروان بن عمار بن يحي، البجائي(55)، المتوفى سنة (610هـ)، (1212م). وهو قاض، فقيه، له اهتمامات بعلوم اللغة والأدب. ولد، ونشأ، وتعلم ببجاية. رحل إلى المغرب والأندلس طلبا للعلم فأخذ عن علماء فاس(56) وسبته وغرناطة. كتب للولاة، وولي قضاء المرية.

ومنهم أيضا، عبد الرحمان بن محمد أبي بكر المعروف بابن السطاح(57)، المتوفى سنة (629هـ)، (1231م). وهو فقيه، لغوي، نحوي. ولد، ونشأ، وتعلم بمدينة الجزائر. سكن بجاية، ومنها انتقل إلى الأندلس طلبا

للعلم، فأخذ عن بعض علماء إشبيلية. ثم انتقل إلى مرسية وتصدر بها للاقراء سنة (610هـ). عاد إلى بجاية سنة (623هـ)، فاشتغل بالتدريس والقضاء إلى أن توفي.

ومن أشهر العلماء الجزائريين، في الأندلس، خلال هذه الفترة[58]، علي ابن أبي نصر فاتح البجائي[59]، المتوفى سنة (652هـ)، (1254م)، وهو فقيه مالكي، من كبار فقهاء المالكية في عصره. ولد، ونشأ، وتعلم، في بجاية، ثم رحل إلى الأندلس، ومن هنالك رحل إلى المشرق، حيث أخذ عن علماء بيت المقدس، ومكة، ودمشق، والإسكندرية، ثم عاد إلى بجاية فجلس إلى التدريس بها، حج ثماني عشرة حجة. بعضها في آخر المائة السادسة، وبعضها في المائة السابعة. ذكره ابن الأبار وقال: ((كان أبوه روميا فأسلم))[60].

ولعل أشهر هؤلاء جميعا، التلمساني إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى[61]، (609 - 690هـ)، (1213 - 1291م). وهو أديب، شاعر، من كبار فقهاء المالكية. ولد بتلمسان، وانتقل مع أسرته إلى الأندلس، وعمره ستة أعوام، واستقرت أسرته في ملاقا مدة ما، فأكمل بها دراسته. ثم انتقل إلى سبتة واستقر بها إلى أن مات[62]. وبسبتة عرف واشتهر وانتفع الناس بعلمه وبسعة اطلاعه.

وإذا تركنا هذه المرحلة، نكاد نصل إلى آخر المطاف، وبالضبط إلى المرحلة ما قبل الأخيرة، أي مرحلة القرن (14م)، (8هـ).

4 ، 6: المرحلة السادسة (ق 14 م)، (8 هـ)

وتنحصر هذه المرحلة زمنيا، في القرن (14 م)، (8 هـ) ويمكن حصر علمائها كما يلي، حسب تاريخ وفاتهم:

ابن خميس بن محمد عمر (645 - 707 هـ)، (1247 - 1309 م)، التلمساني عبد الغني، المتوفى سنة (721 هـ)، (1321م)، ابن محمد الباروني (734 هـ)، (1334 م)، المليكشي محمد بن عمر (740 هـ) (1339 م)، المقري محمد، المتوفى سنة (759 هـ)، (1359م)، علي الخزاعي (710 - 789 هـ)، (1310 - 1387 م)، التلمساني علي بن محمد المتوفى سنة (791هـ)، (1389م)، التلمساني عبد الله بن محمد (747 - 792 هـ) (1347 - 1390 م)، وأخيرا ابن النباش (؟)، (؟)

ولعل أشهر هؤلاء جميعا ابن خميس محمد بن عمر بن محمد، (645 - 707 هـ) (1247 - 1309 م)، كاتب، أديب، شاعر فحل، ولد، وتعلم، ونشأ بتلمسان، حيث أخذ عن كبار مشايخها، ولعلمه وأخلاقه العالية ولاه السلطان أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء وأمانة سره، ومن تلمسان رحل إلى سبتة، حيث أقام مدة، وفي أواخر سنة 703 دخل الأندلس، واستقر بغرناطة، حيث جلس للتدريس، وما لبث أن ذاع صيته بها، فضمه الوزير أبو عبد الله بن الحكيم إلى مجلسه، وبقي ملازما له، إلى أن قتل معه في نكبته، بحيث هوجم قصره في ضحوة يوم الفطر، مستهل شوال، سنة (708هـ) (1309م)، ومما يدل على شهرة الرجل في عصره، أنه كثير التداول من قبل المؤرخين والمهتمين بالتراجم والسير، فهذا ابن خلدون، مثلا يقول: "كان لا يجارى في البلاغة والشعر"(63)، وقال عنه ابن خاتمة:" كان من فحول الشعراء، وأعلام البلغاء، حافظا لأشعار العرب وأخبارها..."(64)، أما مترجمه لسان الدين بن الخطيب فيقول عنه:" كان نسيجا وحده زهدا وانقباضا وأدبا وهمة، عارفا بالمعارف القديمة..."(65)، ولكن ابن خميس لم ينتج كثيرا في حياته، وكل ما له هو ديوان شعر جمعه بعد موته أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي وسماه "الدر النفيس من شعر ابن خميس"(66).

ومن أهل نفس العصر، التلمساني بن عبد الله بن محمد بن أحمد الإدريسي الحسني(67)، (748 - 792 هـ) (1347 - 1390 م)، وهو مفسر قادر، من كبار العلماء في وقته، حافظ للغة والغريب والشعر وأخبار العلماء ومذاهب الفرق، له مشاركة في جميع علوم عصره، عالم بالأحكام والفتاوى والنوازل، وهو من أسرة علم، ووالد الشريف التلمساني(68) الذي انتهت إليه إمامة المالكية في المغرب، جلس إلى التدريس فذاع صيته في تونس وفاس وبجاية، فرحل إليه الطلبة من كل صوب وحدب وانتفعوا به وبعلمه، ومن تلمسان رحل إلى الأندلس ودخل غرناطة وجلس مدة بها للتدريس، ثم عاد راجعا إلى وطنه فتوفي غرقا في البحر. له فتاوى كثيرة نقل بعضها الونشريسي في كتابه المعيار.

ومن أهل القرن الرابع عشر الميلادي(69)، الثامن الهجري، العالم الطبيب، محمد بن عبد الله بن حامد البجائي، المعروف بابن النباش(70) ولد، وتعلم، ونشأ ببجاية، ثم رحل إلى الأندلس واستقر في مرسية،. حيث ذاع صيته كطبيب ماهر، فقصده الناس من كل نواحي

الأندلس، قال عنه أحدهم:" معتن بصناعة الطب، مواظب لعلاج المرضى، ذو معرفة جيدة بالعلم الطبيعي، وله أيضا نظر ومشاركة في سائر العلوم الحكيمة..."(71).

هكذا يبدو القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن الهجري، في الأندلس هزيلا، من حيث تعداد علمائه ولكن أيضا من حيث نوعيتهم، وذلك خلافا لكل من تونس والمغرب مثلا. ففي نفس الفترة الزمنية، في تونس، نجد أسماء بارزة، في علوم عصرها، أمثال ابني الإمام: عبد الرحمان المتوفى (741 هـ)، (1340م) وعيسى المتوفى (749 هـ) (1347م)، والشريف التلمساني (810 - 771 هـ)، (1310 - 1370م)، والغبريني أحمد أبو القاسم، المتوفى سنة (772 هـ)، (1380م)، وابن الكماد إبراهيم (ق14م)، (8هـ)، ومرزوق بن الحفيد (710 - 781 هـ)، (1311- 1379م)، وغيرهم. أما في المغرب خلال نفس الفترة، فنجد المقري محمد، المتوفى سنة (759 هـ)، (1359 م)، الذي دخل أيضا تونس والونشريسي أبوعلي (724 - 788هـ)، (1324 - 1386 م)، الذي لا ينبغي الخلط بينه وبين صاحب المعيار، وأحمد بن القنفذ (740 - 809 هـ) (1340 - 1406م)، وغيرهم.

إن تقهقر العلم والعلماء، في الأندلس خلال هذه الفترة بالذات يمكن أن نجد له تفسيرا في الاضطرابات التي سادت البلاد، وذلك من جراء الحملات المنتظمة التي شنها الإسبان على العرب هنالك، وهو الشيء الذي جعل كثيرا من العلماء الجزائريين، وغير الجزائريين يمتنعون عن الرحيل إلى الأندلس، ضف إلى ذلك الضعف الذي دب في أركان الإمارات العربية الأندلسية وانصرافها خلال هذه الفترة إلى أمور أخرى غير علمية أو ثقافية.

وبنهاية القرن الرابع عشر الميلادي، وحلول القرن الذي يليه تدخل الأندلس الإسلامية في بداية النهاية، حيث بدأت شموع الثقافة العربية الإسلامية تنطفئ فيها الواحدة تلو الأخرى، ومعالم الحضارة العربية الإسلامية، التي عمرت فيها قرابة الثمانية قرون، تتراجع بسبب الضغط الأوروبي الممارس عليها، والذي سيشتد شيئا فشيئا عليها إلى حين خنقها وطرد القائمين عليها.

وفي أواخر العهد الإسلامي في الأندلس، لا يكاد المرء يعثر على عالم جزائري هنالك، وكل ما وجدناه خلال هذه الفترة، هما عالمان اثنان، التلمساني أحمد بن عبد الرحمان، المتوفى سنة (895 هـ) (1490م)، وهو

مفسر، قاض، محدث، أصولي، من أكابر فقهاء المالكية، وهو حفيد الشريف التلمساني، السابق الذكر، نشأ وتعلم بتلمسان، ثم رحل إلى الأندلس وولي قضاء الجماعة بغرناطة، عاد إلى مسقط رأسه حيث توفي. أما عن الثاني، فهو علي بن قاسم الوهراني، الشهير بالحداد، من كبار فقهاء المالكية في وقته، من أهل وهران، نشأ بها وتعلم، كان بالأندلس في أواخر العهد الإسلامي.

وعموما فلقد مرت حركة العلماء الجزائريين نحو الأندلس، فيما بين القرنين العاشر والخامس عشر الميلاديين، الرابع والتاسع الهجريين بمراحل قوة وضعف، وواكبت الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت أقطار المغرب الكبير، والأندلس على السواء، على أن أزهى هذه الفترات يمكن حصرها فيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين (5 / 7 هـ).

علماء الجزائر في الأندلس

القرن 10 م

- التاهرتي عبد الرحمان (- 295 هـ)، (- 908 م)
- التاهرتي قاسم (ق 4 هـ)، (ق 10م)
- التنسي إبراهيم (- 387 هـ)، (- 997 م)
- الضني قاسم بن موسى (- 390 هـ)، (- 1000م).
- الوهراني أحمد (- 341 هـ)، (- 952 م).

القرن 10 / 11 م

- الاشج - ابن - زكريا (310 - 393 هـ)، (922 - 1003م)
- البغائي أحمد (354 - 401 هـ)، (956 - 1011م)
- التاهرتي أحمد بن قاسم (309 - 395 هـ)، (921 - 1005م)
- الطبني زيادة الله (336 - 415 هـ)، (947 - 1024م)
- الطبني عبد الرحمان (367 - 401 هـ)، (977 - 1010 م)
- الطبني محمد (300 - 394 هـ)، (912 - 1014 م)

القرن 11م

- البوني مروان بن علي (- 439 هـ)، (- 1047 م)
- التاهرتي عمر (- 446 هـ)، (- 1054 م)
- الطبني عبد العزيز (- 436 هـ)، (-1044 م)
- الطبني عبد المالك (396 - 457 هـ)، (1006 - 1056 م)
- الطبني محمد بن يحي (- 426 هـ)، (- 1035م)
- المسيلي حسين (-431 هـ)، (- 1040م)
- المسيلي عبد الله (- 473 هـ)، (- 1080م)
- الوهراني عبد الرحمان (- 400 هـ)، (- 1009م)
- الوهراني عبد الله (-429 هـ)، (- 1038م)

القرن 11 / 12 م

- الرمامة محمد بن علي (478 - 567 هـ)، (1085 - 1171 م).
- زكون بن حسن (484 - 553 هـ)، (1091 - 1158 م).
- الورجلاني يوسف بن إبراهيم (500 - 570 هـ)، (1107 - 1175م).

القرن 12 م

- الاشيري ابن حسن بن عبد الله (- 569 هـ)، (-1173 م)
- الاشيري موسى (- 589 هـ)، (- 1193 م)
- البوني علي (-536 هـ)، (-1141 م)
- التاهرتي الحسن (- 501 هـ)، (-1107 م)
- التلمساني ابن أبي جنون (-577 هـ)، (-1162م)
- الصيقل موسى (-514 هـ)، (- 1120م)
- الصيقل يحي (-514 هـ)، (- 1120م)
- عرجون ابن أبي عبد الله (- 534 هـ)، (- 1139م)
- الفرداوي ميمون (- 584 هـ)، (- 1189م)
- القسنطيني أبو العباس (-537 هـ)، (- 1142 م)
- المسيلي أحمد (- 538هـ)، (- 1143م)
- الهمذاني عبد الله (- 557 هـ)، (- 1162م)
- محشرة - ابن - علي (ق 6 هـ)، (12 م).

القرن 12 / 13 م

- التلمساني محمد بن عبد الحق (536 - 625 هـ)، (1141 - 1228م).
- سكات - ابن - عبد الله (562 - 641 هـ)، (1166 - 1245م).
- الصنهاجي محمد بن علي (547 - 628هـ)، (1154 - 1231م).
- المتيجي محمد (555 - 625 هـ)، (1160 - 1228م).
- الندرومي محمد بن سحنون (580 - 634 هـ)، (1184 - 1237م).

القرن 13م

- البجائي مروان (- 610 هـ)، (- 1213م).
- البجائي علي (- 652 هـ)، (- 1254 م).
- التلمساني إبراهيم (609 - 690 هـ)، (1212 - 1291م).
- التلمساني فتح بن عبد الله (ق 7 هـ)، (ق13م).

- التلمساني محمد بن عبد الله (- 651 هـ)، (-1253 م).
- حسون بن محمد (- 606 هـ)، (- 1210 م).
- السطاح بن عبد الرحمان (- 629 هـ)، (-1231 م).
- الغساني محمد بن إبراهيم (- 663 هـ)، (- 1264 م)
- القيسي يحي (-649 هـ)، (-1251 م).
- الهواري حسن بن حجاج (- 598 هـ)، (- 1202 م).
- الوهراني محمد بن علي (-601 هـ)، (- 1205 م).

القرن 13 / 14 م

- خميس بن محمد عمر (645 -707 هـ)، (1247 - 1309 م).

القرن 14م

- الباروني بن محمد (- 734 هـ)، (- 1334 م).
- التلمساني عبد الغني (-721 هـ)، (-1321 م).
- التلمساني عبد الله بن محمد (747 - 792 هـ)، (1347 - 1390م).
- التلمساني علي بن محمد (- 791 هـ)، (- 1389م).
- الخزاعي علي (710 - 789 هـ)، (1310 - 1387م).
- المليكشي محمد بن عمر (- 740 هـ)، (- 1339م).
- المقري محمد (- 759 هـ)، (- 1359 م).
- النباش - ابن - محمد (؟)، (؟).

القرن 15م

- التلمساني أحمد بن عبد الرحمان (- 895 هـ)، (- 1490 م)

- الوهراني علي بن قاسم (ق9 هـ)، (ق15م).

القرن 18 م

- الشاهد - ابن - محمد (- 1206هـ)، (- 1792 م).

هجرة العلماء الجزائريين نحو الأندلس

فيما بين القرنين 10 و 15 (4هـ - 10هـ)

-قائمة مرتبة حسب حروف المنجد -

أديب شاعر مؤرخ نحوي لغوي فقيه محدث مهتم بعدة علوم مفسر

-(إبن) الأحرش زكريا + + +

(310-393هـ)،(922-1003م)

-الأشيري بن حسن + + +

(-569هـ)،(-1173م)

-الأشيري موسى + +

(-589هـ)،(-1193م)

- البلروني -إبن- محمد +

(-734هـ)،(-1334م)

-البجائي علي + +

(-652هـ)،(-1254)

-البجائي مروان + +

(-610هـ)،(-1213م)

-البوني علي + +

(-536هـ)،(-1141م)

-البوني مروان بن علي + +

(-439هـ)،(-1047م)

-البغائي أحمد +

(354-401هـ)،(956-1011م)

-التاهرتي أحمد بن قاسم + +

(309-395هـ)،(921-1005م)

-التاهرتي الحسن + +

(-501هـ)،(-1107م)

-التاهرتي عبد الرحمان +

(-295هـ)،(-908م)

-التاهرتي عمر +

(-446هـ)،(1054م)

-التاهرتي قاسم +

(ق 4هـ)،(ق 10م)

-التلمساني إبراهيم + + +

(609-690هـ)،(1212-1291م)

-التلمساني أحمدبن عبدالرحمان + + + + +

(-895هـ)،(-1490م)

-التلمساني عبد الغني +

(-721هـ)،(1321م)

-التلمساني عبدالله بن محمد + +

(747-792هـ)،(1247-1390م)

-التلمساني بن أبي جنون + + +

(-577هـ)،(-1162م)

-التلمساني علي بن محمد +

(-791هـ)،(-1389)

-التلمساني فتح بن عبدالله

(ق 7هـ)،(ق 13م)

-التلمساني محمدبن عبدالحق + + +

(536-625هـ)،(1141-1228م)

-التلمساني محمد بن عبدالله + + +

(-651هـ)،(-1153م)

-التنسي إبراهيم

(-387هـ)،(-997م)

-حمون بن محمد + +

(-606هـ)،(-1210م)

-الخزاعي علي + + +

(710-789هـ)،(1310-1387م)

-خميس بن محمد عمر + + +

(645-707هـ)،(1247-1309م)

-الرملة محمدبن علي + +

(478-567هـ)،(1085-1171م)

-زكون بن حسن + +

(484-553هـ)،(1091-1158م)

-السطاح بن عبدالرحمان + + +

(-629هـ.)،(-1231م)

-سكات-إبن-عبدالله + +

(562-641هـ)،(1166-1243م)

-الشهاب-إبن-محمد

(-1206هـ)،(-1792م)

-الصنهاجي محمد بن علي + + + +

(547-628هـ)،(1154-1231م)

-الصيقل موسى + + +

(-514هـ)،(-1120م)

-الصيقل يحي + +

(-514هـ)،(-1120م)

-الطبني أحمد أبو عمر + +

(-390هـ)،(-1000م)

-الطبني زيادة الله + +

(336-415هـ)،(947-1024م)

-الطبني عبد الرحمان + +

(367-401هـ)،(977-1010م)

-الطبني عبد العزيز +

(-436هـ)،(-1044م)

-الطبني عبد المالك + + + +

(396-457هـ)،(1006-1056م)

-الطبني محمد + +

(300-394هـ)،(912-1114م)

-الطبني محمد بن يحي + +

(-426هـ)،(-1035م)

-عرجون إبن أبي عبد الله + + +

(-534هـ)،(-1139هم)

-الضائي محمد بن إبراهيم + + + + +

(-663هـ)،(-1264م)

-الفرداوي ميمون +

(-584هـ)،(-1189م)

-القسنطيني أبو العباس + +

(-537هـ)،(-1142م)

-القيسي يحي + + +

(-649هـ)،(-1251م)

-المتيجي محمد + +

(555-625هـ)،(1160-1228م)

-محشر-إبن-علي + +

(ق 6هـ)،(ق 12م)

-المسيلي أحمد + +

(-538هـ)،(-1143م)

-المسيلي حسين + +

(-431هـ)،(-1040م)

-المسيلي عبد الله + +

(-473هـ)،(-1080م)

-المقري محمد + +

(-759هـ)،(-1359م)

-المليكشي محمدبن عمر + +

(-740هـ)،(-1339م)

-النبلش-إبن-محمد

(؟)،(؟)

-الندرومي محمدبن سحنون + +

(580-634هـ)،(1184-1237م)

-الهمذاني عبدالله أبومحمد + +

(-557هـ)،(-1162م)

-الهواري حسن بن حجاج + +

(-598هـ)،(-1202م)

-الورجلاني يوسف بن إبراهيم + +

(500-570هـ)،(1107-1175م)

-الوهراني أحمد +

(-341هـ)،(-952م)

-الوهراني عبد الله ++ +

(-429هـ)،(-1038م)

-الوهراني عبد الرحمان + + +

(-400هـ)،(-1009م)

-الوهراني علي بن قاسم +

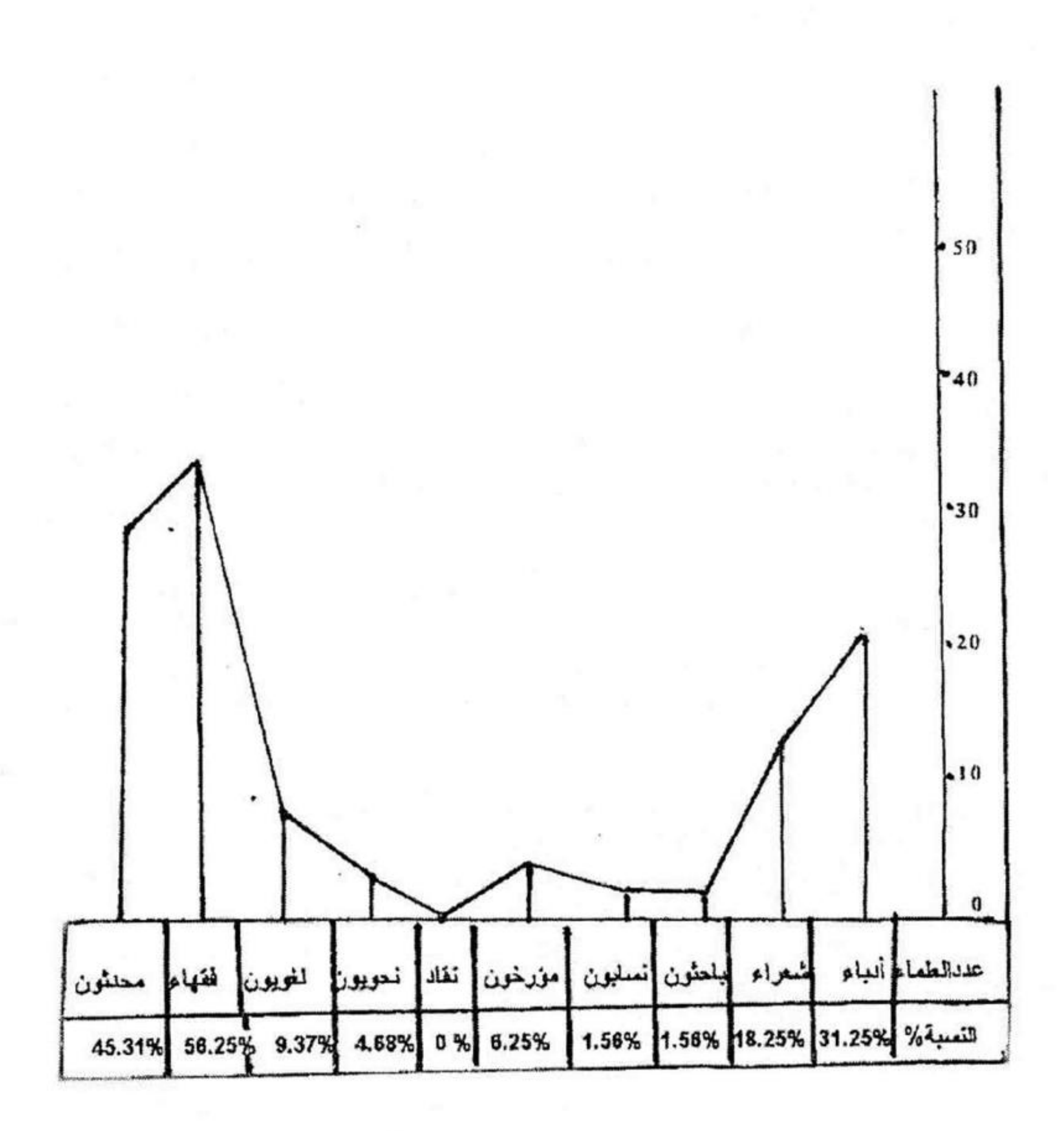
(ق 9هـ)،(ق 15م)

-الوهراني محمد بن علي +

(-601هـ)،(-1205م)

العلماء الجزائريون في الأندلس

حسب إختصاصاتهم



الهوامش

(1) وردت الأسماء هنا باختصار، تابعها كاملة فيما يلي:
(2) السويطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مصر، 1964م، ج / 1، ص 513، وكذلك ابن القاضي: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس 1309هـ، ص 268.

(3) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت، ط/2/1980، ص 59.
(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، جزءان، مصر، ب. ت. ج/ 1، ص 127، وكذلك عادل نويهض: المرجع نفسه، ص 347.
(5) ابن عميرة الضبيني، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مدريد، سنة 1884، ص 204، وكذلك سليماني الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ج/ 2 ص 51، وكذلك ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، ب. ت. وكذلك ابن حجر الصقلاني: تعير المنتبه بتحرير المشتبه، مصر 1966، ج/ 1، ص 151.

(6) ابن شكول: الصلة، جزءان، مصر 1955، ج/ 2/ ص 474، وكذلك عادل نويهض:
المرجع السابق، ص 199.
(7) ابن القرضي: تاريخ علماء الأندلس، مدريد 1890، مصر 1966، ص 152، وكذلك ابن عميرة الضبني: المصدر السابق، ص 279، سلميان الباروني، ج / 2، ص 75.

(8) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 361.
(9) ابن عميرة الضبني: المصدر نفسه، ص 188، وكذلك ابن بكشوال: المصدر السابق، ج / 1 ص 84، وكذلك ابن القاضي، المصدر السابق، ص 141، وكذلك ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مصر 1949، ج/ 1/ 145.

(10) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 58.
(11) الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، مصر 1952، ص 275، وكذلك ابن عميرة الضبني: المصدر السابق، ص 353، وكذلك الذهبي: المشتبه، مصر، ب. ت. ص 622، وكذلك ابن عماد: المصدر السابق، ج/ 3، ص 65.

(12) القاضي عياض: ترتيب المدارك، بيروت 1967، ج/ 4، ص 680، وكذلك ابن بكشوال: المصدر السابق، ج / 1 ص 85، وكذلك إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين اسطنبول، 1951 / 1955، ج/ 1، ص 70.

(13) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 361.
(14) وكذلك من علماء الجزائر خلال هذه الفترة: عبد الرحمان الطبني (367 - 401 هـ)، (977 - 1010م) أصلا من طبنة، رحلت أسرته إلى الأندلس فولد في قرطبة وتوفي بها، وكذلك قاسم التاهرتي (ت. 4 هـ)، (10م) أصلا من تيهرت، رحل إلى الأندلس وتوفي بها.

(15) الحميدي: المصدر السابق، ص 38، وكذلك ابن بشكوال: المصدر السابق. ج/ 2، ص 594، وكذلك محمد بن عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مصر، 1969، ص 702، وكذلك القفطي: المحمدون من الشعراء، بيروت، ب. ت، ص 255، وكذلك خير الدين الزركلي: الأعلام، مصر، 1954 / 1959، ج/ 6، ص 329.

(16) عن عادل نويهض: المرجع السابق، ص 203.

(17) أنظر كذلك عمار هلال: العلماء الجزائريون في المغرب العربي جريدة المساء، 18 / 4 و19 / 4 و 20 / 4 / 1993، على التوالي ص 21، 20، 21، 20.

(18) عمار هلال: المرجع نفسه.

(19) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج/ 1، ص 192، وكذلك ابن عميرة الضبني: المصدر السابق، ص 282، وكذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 221، وأيضا بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مصر 1358 / 1364 هـ، ج 1/ 2، ص 52.

(20) عن عادل نويهض: المرجع السابق، ص 201.

(21) الحميدي: المصدر السابق، ص 92، وكذلك ابن عميرة الضبني المصدر السابق، ص 134، وكذلك ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، مصر، ب. ت. ج/ 1، ص 92.

(22) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 298، وكذلك عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج/ 1، ص 360.

(23) عن عادل نويهض: المرجع السابق، ص 349.

(24) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص 146.

(25) المصدر نفسه، ص 309.

(26) المصدر نفسه، ص 380.

(27) ابن سعيد: المصدر السابق، ج/ 1. ص 92، وكذلك ابن عميرة الضبني: المصدر السابق، ص 366، وكذلك ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج/2، ص 36، وكذلك السويطي: المصدر السابق، ج/2، ص 109، وأيضا الحميدي: المصدر السابق، ص 629.

(28) وهناك أيضا من نفس البيت الضبني أحمد بن الحسين، توفي سنة (390 هـ)، (1000م)، محدث، من أهل طبنة، توفي بقرطبة.

(29) ومن العلماء الجزائريين في الأندلس خلال نفس الفترة، البوني مروان بن علي، المتوفى سنة (439هـ)، (1047م)، وعمر التاهرتي المتوفى (446هـ)، (1054م).

(30) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج/ 1، ص 298.

(31) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، مدريد 1885، ص 191، و310.

(32) المصدر نفسه.

(33) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص300.

(34) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 230 / 231.

(35) الشمخلي: السير، طبع على الحجر، ب. ت ومكان طبع، ص 443. وأيضا دائرة المعارف الإسلامية ج/ 5/ ص 248، وكذلك سركيس: معجم المطبوعات، 1928، ج/2/ ص1914، وأيضا عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج/ 1، ص 415، وكذلك الزركلي: المصدر السابق، ج/ 9، ص 281، وأيضا عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج13، ص 167.

(36) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 341.
(37) الغبريني: عنوان الدراية، بيروت، 1969، ص 206 . وذلك ابن مريم 1 المصدر السابق، ص294 وكذلك شكيب أرسلان 1 المصدر السابق ج3/، ص 103.
(38) - و من علماء هذا العصر، في الأندلس، أيضا، الحسن التاهرتي المتوفى(501هـ)، (1107م)، أديب، عالم بالنحو، تعلم بالأندلس، وسكن سبتة ودرس بها. وعلي البوني، المتوفى سنة (536هـ)، (1141م) . دخل الأندلس، ثم عاد إلى بونة حيث توفي . وأبو العباس القسنطيني، المتوفى سنة (537هـ)، (1142م)، الذي لم يطل مقامه بالأندلس. توفى في قسنطينة. وأحمد المسيلي الموفى سنة (538ه)، (1143م)، الذي دخل الأندلس، ثم عاد إلى المغرب، أنظر عنه الباب الخاص بالعلماء الجزائريين في المغرب. وابن زكون حسن (484 - 553هـ)، (1091 - 1158م)، من أهل تلمسان، دخل الأندلس وأخذ عن علماء قرطبة ومرسية. وعبد الله الهمذاني، المتوفى سنة (557هـ)، (1162م)، من أهل وهران، أصلا من الأندلس، أنظر عنه الباب الخاص بالمغرب. وابن جنون التلمساني، المتوفى سنة (577هـ)، (1162م)، دخل الأندلس، ثم عاد إلى المغرب، أنظر عنه الباب الخاص بالمغرب . ومثله الرمامة محمد بن علي (478 -567هـ)، (1085 - 1171م)، أنظر عنه الباب الخاص بالمغرب. ومثلهما ابن محشرة علي (ق6هـ)، (ق12م). والاشيري بن حسن بن عبد الله المتوفى سنة (569هـ)، (1173م). الذي دخل الأندلس، وهو من أهل تلمسان، ثم عاد إلى مسقط رأسه، حيث توفي.
(39)- عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج/ 2، ص 330.
(40)- شكيب أرسلان: المصدر السابق، ص 499، وكذلك تكملة ابن الأبار، الترجمة، ص 1627.
(41)- عادل نويهض: المرجع السابق، 285.
(42)- أبو القاسم الحفناوي: المصدر السابق، ج / 2 / ص 395. وكذلك ابن الحزري: غاية النهاية في طبقات القراء، مصر، 1351هـ. ج / 2، ص159. وكذلك، الذهبي: العبر في خبر من غبر، الكويت، ب. ت، ج / 5. وأيضا يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر 1903، ج / 1، ص 45. وأيضا الزركلي: المصدر السابق، ج / 7، ص 52. وكذلك عمر رضا كحالة: المصدر السابق، ج / 10، ص 128. وكذلك، لإسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، اسطانبول، 1951 / 1955، ج / 2، ص 112. وكذلك، إسماعيل باشا البغدادي: أيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، جزءان، اسطنبول، 1945 / 1947، ج / 1، ص 357، وكذلك المراكشي: الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج / 3، ص 98.
(43)- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 77.
(44)- عمر رضا كحالة ك المصدر السابق، ج / 1، ص4، وكذلك الزركلي: المصدر السابق، ج/7، ص 169. وأيضا، الغبريني: المصدر السابق، ص 218، وكذلك عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج/2، ص 333. وكذلك المراكشي ك المصدر السابق، ص 100. وكذلك شكيب أرسلان: المصدر السابق، ص 369. وغيرها.

(45)- أنظر عنه كذلك الباب الخاص بالمغرب.
(46)- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت 1956، ص 537، وكذلك عمر رضا كحالة: المصدر السابق، ج / 10، ص 181.
(47)- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 330.
(48)- ابن الأبار: المصدر السابق، ج /2، ص 924. وكذلك الغبريني: المصدر السابق، ص 245.
(49)- عمار هلال: العلماء الجزائريون في المغرب العربي، جريدة المساء: المرجع السابق.
(50)- محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، مصر. ب. ت، ج / 2، ص 138. وكذلك، ابن الأبار: المصدر السابق، ج / 1، ص 279.
(51)- أنظر عنه دراستنا، الباب الخاص بالمغرب.
(52)- محمد عبد الله عنان: المصدر السابق، ج / 2، ص 655. وكذلك ابن الأبار: المصدر السابق، ص 1719.
(53)- أنظر عنه كذلك دراستنا، الباب الخاص بالمغرب ((العلماء الجزائريون في المغرب العربي)).
(54)- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 350.
(55)- أبو القاسم الحفناوي: المصدر السابق، ج/ 1، ص 566، وكذلك ابن الأبار: المصدر نفسه.
(56)- أنظر عنه أيضا دراستنا السابقة الذكر.
(57)- الغبريني: المصدر السابق، ص 263، وكذلك عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج / 2، ص 62.
(58) ومن علماء نفس الفترة: حسون ين محمد المتوفى (606هـ)، (1210م)، محدث، فقيه، أصلا من مدينة الجزائر. تعلم ببجاية رحل إلى الأندلس وأخذ عن علمائها ثم عاد، وحدث وأخذ عنه. وأيضا يحي القيسي، المتوفى سنة (649هـ)، (1251م)، وهو محدث، فقيه له اهتمامات ببعض علوم عصره. ولد ونشأ بقسنطينة، رحل إلى الأندلس سنة (608هـ). ثم عاد إلى بجاية وولي قضاءها . أخذ عنه الكثير. وأيضا التلمساني محمد ين عبد الله، المتوفى سنة (651هـ)، (1253م)، وهو أديب، شاعر، قاض، من الفقهاء. أصلا من المرية بالأندلس. ولد بوهران ونشأ بتلمسان عينه المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن قاض قضاته سنة (583هـ)، ثم عزله سنة (592هـ) رده الناصر لدين الله محمد بن يعقوب للقضاء. فلم يزل عليه إلى أن مات . وهناك أيضا، الغساني محمد بن إبراهيم، من أهل تلمسان، لغوي، نسابة، عارف بالتاريخ، والأدب والفقه. دخل الأندلس فأخذ عن علماء اشبيلية. ثم عاد إلى المغرب حيث توفي. وأيضا، التلمساني فتح بن عبد الله (ق7هـ)، (ق13هـ). رحل إلى الأندلس وأخذ عن بعض علمائها . ثم عاد إلى تلمسان، حيث جلس إلى التدريس بها، إلى أن توفي.
(59) التمبوكتي: نيل الابتهاج، مصر، 1329هـ، وكذلك الغبريني: المصدر السابق، ص 137.
60)- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 38.

(61)- شكيب أرسلان: المصدر السابق، ج / 3 ص 825. وكذلك، المقري: نفح الطيب، ج / 5 ص 120. وكذلك ابن مريم: المصدر السابق، ص 55. وأبو القاسم الحفناوي: المصدر السابق، ج 1، ص 5. وعمر رضا كحالة: المصدر السابق، ج / 1، ص 16. وغيرها كثير.

(62)- أنظر عنه أيضا دراستنا السابقة الذكر، ((الباب الخاص بالمغرب)).
(63)- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 135.

(64)- المرجع نفسه.
(65)- المرجع نفسه.
(66)- أنظر عنه مثلا، المقري: المصدر السابق، ج/5، ص 359، وكذلك ابن القاضي: المصدر السابق، ((درة الحجال))، ج / 2، ص 127، وكذلك السويطي: المصدر السابق، ج / 4، ص 231، والحفناوي: المصدر السابق ج / 2، ص 366، والزركلي: المصدر السابق، ج / 7، ص 204، وعمر رضا كحالة: المصدر السابق، ج/11، ص92، وابن مريم: المصدر السابق ص 225، وعبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج/2، ص 159. وغيرها كثير.

(67)- التمبوكتي: المصدر السابق، ص 140، وكذلك، الحفناوي: المصدر السابق، ج/2، ص 236، وابن مريم: المصدر السابق، ص 117.
(68)- عاش ما بين سنتي (810 -771هـ)، (1310 - 1370م)، ((أنظر عنه الباب الخاص بتونس)).
(69)- ومن العلماء الجزائريين، الذين عاشوا خلال نفس المرحلة، والذين كانت لهم علاقة بالأندلس: عبد الغني بن عبد الجليل التلمساني المتوفى سنة (721هـ)، (1321م). رحل إلى الأندلس سنة (652هـ) واستقر بغرناطة. وكذلك ابن الباروني محمد، من أهل تلمسان، المتوفى بالأندلس سنة (718هـ)، (1334م). والمليكشي محمد بن عمر، المتوفى سنة (740هـ)، (1339م) . دخل الأندلس سنة (718هـ)، ومدح الكبراء، ثم رجع إلى وطنه. توفي بتونس ((أنظر عنه الباب الخاص بتونس)). وكذلك المقري محمد المتوفى سنة (759هـ، (1359م)، دخل الأندلس وانتهت به رحلته إلى غرناطة ((أنظر عنه الباب الخاص بالمغرب)). وهناك على الخزاعي بن محمد بن أحمد، ابن ذي الوزارتين، (710 – 789هـ)، (1310 - 1387م)، مؤرخ، أديب شاعر، كاتب، أندلسي أصلا، ولد، وتعلم، ونشأ بتلمسان. ((انظر عنه الباب الخاص بالمغرب)). وأخيرا هنالك علي بن محمد بن منصور، أبو الحسن، الغماري الصنهاجي التلمساني، المتوفى سنة (791هـ)، (1389م)، من علماء تلمسان. تعلم، ونشأ بتلمسان، ثم رحل إلى الأندلس طلبا للعلم . توفي بالمغرب.

(70)- لا نعرف بالضبط الفترة التي عاش فيها، ومحتمل أن يكون عاش خلال القرن 14م (8هـ).
(71)- عادل نويهض: المرجع السابق ص 328.

الفصل الثاني

العلماء الجزائريون
في تونـــس

الفصل الثاني

العلماء الجزائريون في تونس
فيما بين القرنين العاشر والعشرين الملايين
(10 /20م)، (4 / 14هـ)

يذهب جل الباحثين والمهتمين بالحركة الثقافية والعلمية في الجزائر إلى أن رحلة علماء الجزائر وطلاب العلم رحلتان، إحداهما مشرقية وأخرى مغربية(1)، غير أن التعمق في البحث قد يثبت غير ذلك إثباتا قاطعا، ذلك لأننا وقفنا على علماء جزائريين رحلوا إلى الأندلس(2) في فترات متقدمة من دخول الإسلام إلى إفريقيا(3) قبل أن يرحلوا إلى المشرق العربي، وأن بعضهم قبل أن يقصد هذا الجزء الأخير من الوطن العربي، اتجه إلى العاصمة الأولى العلمية والثقافية، التي هي القيروان(4)، وفي فترة متأخرة نسبيا(ق6هـ)، (ق12هـ)، أضحت فاس محطة أخرى لعلماء الجزائر وطلابها، فقصدها البعض منهم للتفقه في دينه ودنياه، علما أن حركة العلماء الجزائريين في هذه الاتجاهات الأربعة(5): الأندلس، وتونس، والمغرب، والمشرق، غير مدروسة على البتة، على الرغم من وفرة مادتها ويسر الوصول إليها.

والكلام عن حركة العلماء الجزائريين نحو المشرق تفصيلا وتحديدا، يفرض على الباحث في الموضوع الفصل بين أمرين هامين، وهما الغرضان الأساسيان لحركة العلماء نحو الشرق العربي، واللذان يتمثلان طورا في البحث عن التحصيل والتفقه في الدين وطورا آخر في أداء فريضة الحج فقط، ثم الرجوع إلى أرض الوطن. ومن علماء الجزائر، خلال هذه الفترة المتقدمة من علاقاتهم بالشرق العربي من يخلط بين الرحلتين (العلمية والدينية)، ومنهم من يفصل بينهما، أو يجعل الجانب العلمي يتغلب على الجانب الآخر ومنهم من اقتصر، كما أسلفنا على جانب واحد فقط.

والمشرق بالنسبة لعلماء الجزائر، خلال هذه الفترة، يمثل محطات علم وتثقيف كانوا يقفون عندها أو يتوجهون إليها وهي: الإسكندرية والقاهرة والقدس ومكة والمدينة وبغداد، ولكل اتجاه من اتجاهات الجزائريين عبر العصور أسباب ومبررات يصعب حصرها، وإن كان الطابع الذي يغلب

عليه هو الطابع الديني- العلمي، وقد يتقدم العامل الديني في العصر الأولى لدخول الإسلام أرض إفريقية العامل العلمي. وقد استمر الوضع هكذا مدة قرون، بل إلى وقت قريب منا، لسبب بسيط هو عدم فصل الجزائريين عامة بين الدين والعلم، ففي نظرهم، فإن الأول يكمل الثاني، والعكس صحيح، فالعالم الحق، حسب معيار العصر، كان عليه أن يكون عالما وفقيها في دينه قبل أن ينصرف إلى الدراسة والتحصيل في أمور دنياه وما يحيط به من ظواهر مادية وما يتعلق بها فلسفة وسياسة واجتماعا واقتصادا وثقافة.

ودراسة الارتباط العضوي بين الدين والعلم، وتغلب الأول على الثاني، دراسة موضوعية تسلط الأضواء على كثير من الحقائق التاريخية لتطور المجتمع، لا الجزائري فحسب، ولكن أيضا المغاربي والعربي على السواء، بل الإسلامي برمته على اختلاف نزعاته ومشاربه.

وإلى وقت قريب منا، لم يفرق الجزائريون بين عروبيتهم وإسلامهم، ولم يميزوا بينهم وبين غيرهم إلا على هذا الأساس الذي اثبتوا بواسطته شخصيتهم وهويتهم، فبالنسبة لرجل الشارع، وإلى يومنا هذا يصعب عليه الفصل بين ((العروبة والإسلام والجزائري)) فالعناصر الثلاثة بالنسبة إليه تكون وحدة واحدة وهي الفرد الجزائري فالعربي عنده بالضرورة مسلم، والمسلم حتميا عربي، ولا شيء غير ذلك.

وقد ترسخت هذه الفكرة بين أجيال من الجزائريين وبقيت سائدة بين الجماعات إلى بداية السبعينات الفارطة حينما استفحلت النزعة البربرية المتطرفة محاولة التمييز بين الجزائري والعروبة كعنصر أو الإسلام كعقيدة ودين.

وإن يبدو هذا التفكير ساذجا في حد ذاته في أيامنا هذه، فإنه استطاع لمدة قرون خلت أن يحافظ على تراص الشعب الجزائري وحدته السياسية والاجتماعية والعقائدية والحضارية، فعلى هذا الأساس و وفقا له سعى علماء الجزائر منذ العهود الأولى لاعتناقهم الدين الإسلامي إلى توثيق الصلات وربطها بينهم وبين إخوانهم في الدين مغربا ومشرقا وبما أن

موضوعنا هذا يخص البلدان المغاربية، فياترى كيف تطورت علاقة النخبة المثقفة بهذه البلدان وما هي مميزاتها ومراحلها الهامة؟

وإذا أخذنا بعين الاعتبار العامل الزمني، وللأسباب التي ذكرناها آنفا تأتي تونس في المقدمة لحركة العلماء الجزائريين، بحيث جلبت القيروان كمركز حضاري وسياسي واجتماعي أنظار هؤلاء إليها واستهوت الكثير منهم فألفوا سماءها وهواءها وعاشوا بين أحضانها ردحا من الزمن ولم ينتقلوا منها إلا مجبرين.

1- تونس

- المرحلة الهامة لحركة العلماء الجزائريين نحو تونس

حسب تتبعنا لحركة العلماء الجزائريين، وانتقائنا لعينة منهم، في تونس عبر عشرة قرون، أي فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين، تبين لنا أن حركتهم هذه، مرت بأربع مراحل هامة، وهي: المرحلة الأولى والتي تمتد بين القرنين التاسع والثالث عشر الميلاديين، الثالث والسابع الهجريين، أما المرحلة الثانية فتمتد بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، الثامن والتاسع الهجريين، أما المرحلة الثالثة فتمتد بين القرن الخامس عشر الثامن عشر الميلاديين، التاسع والثاني عشر الهجريين، والمرحلة الرابعة والأخيرة فهي تقع بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ولكل مرحلة من المراحل السابقة الذكر علاماتها ومميزاتها الخاصة بها.

1·1 المرحلة الأولى (ق 9 / 13م)، (ق 3 / 7هـ)

إن هذه المرحلة نفسها يمكن تقسيمها إلى مرحلتين ها متين، أولاهما وهي المرحلة التي تمتد بين الفرن التاسع والثاني عشر الميلاديين، (6/3هـ)، وعلى الرغم من طولها زمنيا، بحيث تمتد على مدى أربعة قرون تقريبا فإننا نلاحظ العدد القليل من العلماء الجزائريين الذين شدوا رحالهم نحو تونس طلبا للعلم والعمل معا، بحيث احتك هؤلاء بنظرائهم هنالك وأخذ البعض عن البعض الآخر، ومنهم من طالت به الإقامة في تونس إلى حد أنه انصهر في بوتقة مجتمعها وصفوفها العلمية وتأقلم مع بيئتها الثقافية

والسياسة الشيء الذي جعله شيئا فشيئا يفقد (جزائريته) لينتحل صفة الوسط العلمي والثقافي الذي كان يعيش فيه، وذلك مثل ابن رشيق الحسن أبو علي(6) الشهير بالقيرواني (385 – 463هـ)، (995 - 1071م) لطول مكوثه بمدينة القيروان خادما ملوكها. وابن رشيق أصلا من المسيلة بالشرق الجزائري، حيث تعلم وأخذ عن علمائها معارف عصره، وعن والده أخذ صناعة الصياغة ولكنه ما لبث أن مال إلى علوم الأدب والتاريخ والشعر والبحث العلمي، وقد يكون ابن رشيق أول واضع لأسس فن النقد الأدبي، والنقد عامة في إفريقيا قديما. ومن خلال متابعتنا وتصنيفنا لعلماء الجزائر واختصاصاتهم ميادين نشاطهم العلمي والثقافي في الأندلس والبلدان المغاربية لم نعثر على عالم ناقد سواه خلال العشرة قرون الفارطة. وغادر ابن رشيق القيروان مضطرا، في ظروف أمنية خطيرة، واستقر بصقلية أملا في العودة إليها، ولكن الموت كان أسرع من أمانيه وآماله، فوافته المنية هنالك عن عمر يناهز سبعة وسبعين عاما(7).

وإذا كان ابن رشيق " المسيلي" أرقى وأشهر علماء الجزائر، خلال الفترة التي أشرنا إليها، بدون منازع، فهنالك من سبقه زمنيا السابق. إلى القيروان، وكان له ضلع، وغبار يذكران في ميدان العلم والتحصيل، ونقصد بذلك العالم الجزائري "البسكري" اسحاق ابن أبي عبد الله عبد الملك الملشوني(8)، المتوفى حوالي (226هـ)، (841م)، والملشوني نسبة إلى قرية صغيرة متاخمة لبسكرة، عاصمة الزاب وبوابة الصحراء، وقد برع الملشوني في عدة علوم من علوم عصره من بينها علم التاريخ والفقه المالكي، مما جعله محل اهتمام الخاص والعام، بحيث جالس الإمام سحنون التونسي، عالم إفريقية في وقته، وأخذ كل منهما عن الآخر، كما قربه الأمير محمد بن الأغلب (206 – 242هـ)، إليه وخصه بمكانة مرموقة في بلاطه لعلمه الوافر واطلاعه الواسع.

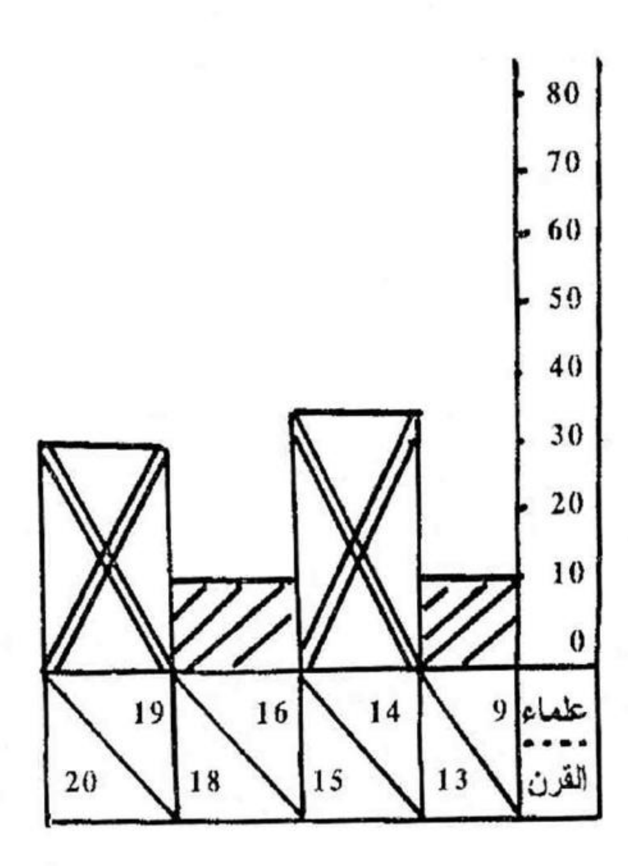
ومن العلماء الجزائريين المعاصرين لابن رشيق، ابن الزبيب الحسن بن محمد التميمي التاهرتي(9)، نسبة إلى تيهرت مسقط رأسه. وقد عاش ابن الزبيب ونشأ ومات في القيروان (340 - 420هـ)، (951 - 1029م)، وابن الزبيب شأنه شأن ابن رشيق والملشوني السابق الذكر من العارفين بالتاريخ،

بل نسابة شهير، شاعر وأديب، ونحوي متفقه في علوم اللغة العربية، احتل الصدارة في قول الشعر بين معاصريه القيروانيين. وكما نلاحظ فهو ثالث علماء القرنين التاسع والعاشر الميلاديين المتزودين بثقافة تاريخية عالية، ولعل ذلك ما جعلهم جميعا يتمكنون من معارف عصرهم ويحتلون مراتب علمية مرموقة في وقتهم.

ومن أشهر علماء الجزائر(10)، خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها، الغبريني أحمد بن أحمد(11)، (644-704هـ)، (1246 - 1304م)، فهو قاض، مؤرخ(12)، عالم بالحديث والتفسير واللغة العربية والمنطق، من كبار فقهاء المالكية في عصره. كما هو واضح من اسمه فهو من بني غبري، بطن من بطون القبائل الكبرى. ولد وتعلم ونشأ ببجاية، ومكث مدة في تونس طالبا للعلم، ويقال أنه أخذ على نحو سبعين شيخا من شيوخ وأعلام المغرب الكبير والأندلس. قال النباهي: ((ولي القضاء بمواضع عدة آخرها مدينة بجاية، فكان في حكمه شديدا، مهيبا، ذا معرفة بأصول الفقه، وحفظ لفروعه، وقيام على النوازل، وتحقيق للمسائل...))(13).

وقد أدرك الغبريني مطلع القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن الهجري، وهو القرن الفاصل، بالنسبة لحركة العلماء الجزائريين نحو تونس، بين عهدين مختلفين كما وكيفا بالنسبة للعناصر الجزائرية الطالبة للعلم والتفقه في أمور دنياها ودينها. وعموما فلئن اتسمت هذه المرحلة الأولى من حركة العلماء الجزائريين نحو تونس بالعدد القليل من العلماء الذين ربطوا الصلة بينهم وبين تونس بالرحيل إليها طورا للتحصل والاستزادة والرجوع إلى وطنهم الأصلي طورا آخرا، ومنهم من مكث مدة طويلة ورجع، ومنهم من استقر نهائيا إلى أن وفاه أجله هناك، فقد يلمس المرء فوائد الرحلة هذه في أنها شكلت همزة وصل بين الجزائر وتونس وفتحت الطريق واسعا نحو تواصل حضاري وبشري ولا تزال أصوله إلى يومنا هذا تشكل منبعا خصبا للأخذ والعطاء بين الشقيقتين تونس والجزائر، وفي العصور التي تلي سنلاحظ التآزر تتوثق عراه تقريبا بشكل يجعلها صعبة التفكك بعد ذلك، وبغض النظر عن الأوضاع السياسية وما نتج عنها من تطورات، فانه يبدو لنا العوامل الحضارية واللغوية بين الشعبين الجزائري والتونسي عبر العصور، والرسم البياني التالي يبين لنا ذلك بطريقة لا غبار عليها.

رسم بياني لحركة العلماء الجزائريين نحو تونس فيما بين القرنين التاسع و العشرين الملاديين (3/14هـ).



1 • 2: المرحلة الثانية (ق14 / 15م) (ق 8 / 9 هـ)

تعتبر هذه المرحلة الممتدة ما بين القرنين الرابع عشر الخامس عشر الميلاديين، الموافقين للثامن والتاسع الهجريين، في حركة العلماء الجزائريين نحو تونس، من أزهى الفترات وأغناها تواصلا بين القطرين الشقيقين وذلك بواسطة صفوتها المثقفة، بحيث نلاحظ ما يربو عن عشرين عالما جزائريا خلال قرن واحد (14م)، قد ربطتهم صلة ما بالقطر التونسي الشقيق، وخلال القرن الذي يليه، وبسبب الاضطرابات السياسية التي سادت المنطقة والحوادث العسكرية وانعدام الأمن نزل هذا العدد للنصف تقريبا، وبالضبط أحصينا أحد عشر عالم شدوا رحالهم إلى تونس أما لطلب العلم لمدة معينة أو الاستقرار نهائيا هنالك.

ولعل أقوى مثل على ذلك هو ابن الأمام عبد الرحمان بن محمد ابن عبد الله أبو زيد المعروف بابن الإمام المتوفى (-741 هـ)، (1340م)، عالم كبير، وفقيه معتبر، من فقهاء المالكية، "بحيث أجمع كتاب التراجم والسير بالمغرب الكبير على أنه كان من أشهر علماء عصره ولم يكن فيه أعظم رتبة ولا أعلم منه"(15).

ولد ابن الأمام وتعلم ونشأ في برشك ثم رحل إلى تونس حيث واصل تعليمه وأخذ عن كبار علمائها، ومن تونس عاد إلى الجزائر العاصمة، حيث درس مدة من الزمن، ومنها انتقل إلى مليانة ثم إلى تلمسان، ومنها رحل إلى المشرق العربي، حيث التقى بكبار علمائه من بينهم شيخ الإسلام ابن تيمية (1320م)، ثم عاد إلى تلمسان حيث توفي(16).

وعلى درب عبد الرحمان ابن الإمام سار ابن الإمام عيسى بن محمد بن عبد الله أبو موسى، شقيق الأول، وكان الشقيقان ملازمين لبعضهما في تعليمهما ونشأتهما وطلبهما للعلم داخل البلاد وخارجها وفي مهنتهما ونشاطهما العلمي والثقافي، بحيث عرفا حيثما حلا بابني الإمام نسبة إلى والدهما الذي كان إماما في برشك، وما قلناه عن عبد الرحمان سابقا ينطبق تماما على شقيقه عيسى، عدا هذا الأخير توفي حوالي (749هـ)، (1348م)، أي حوالي ثماني سنوات بعد وفاة شقيقه الأكبر عبد الرحمان(17).

ومن أهم علماء هذه الفترة الشريف التلمساني (710 - 771هـ)، (1310 - 1370م)، من كبار علماء المالكية، باحث، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب الكبير، ولد ونشأ بتلمسان ثم رحل إلى تونس فالمغرب، ثم عاد إلى تلمسان، حيث تصدى للتدريس إلى أن وافته المنية. " وكان شيخ علماء الأندلس أبو سعيد بن لب كلما أشكلت عليه مسالة فقهية كاتبه بها، وكذلك لسان الدين بن الخطيب، كان كلما ألف كتابا بعثه إليه وعرضه إليه مطالبا منه أن يكتب عليه بخطه"(18).

ولعل أغزر العلماء الجزائريين إنتاجا ونظما، خلال هذه الفترة ابن مرزوق الحفيد (766 - 842 هـ)، (1364 - 1438م)، فقيه حجة في المذهب المالكي، نحوي، عالم بالأصول، حافظ للحديث، مفسر، ناظم ولد وتعلم ونشأ بتلمسان، رحل إلى تونس وفاس ثم دخل القاهرة، حج مرتين، الأولى سنة 790 هـ، والثانية سنة 819 هـ، مات بتلمسان(19).

ومن علماء القرن الرابع عشر الميلادي الذين تزودوا بالعلم والمعارف في تونس المقري محمد بن أحمد بن أحمد التلمساني، باحث، أديب، قاض، من كبار علماء المذهب المالكي في عصره، ولد وتعلم ونشأ بتلمسان، ثم انتقل إلى تونس، لمواصلة تعليمه، ومنها دخل المغرب، ورحل إلى المشرق فأخذ عن علماء مصر ومكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس، ثم عاد إلى بلده(20).. أما الجزء الآخر من حياته المغرب، وسنتناوله في الباب الخاص به.

ومن علماء الجزائر خلال هذه الفترة الذين تولوا خطة الإنشاء بتونس، المليكشي محمد بن عمر البجائي، ثم التونسي الجزائري(21)، المتوفى (740 هـ)، (1329م)، شاعر، أديب، أخذ عن علماء مدينة الجزائر ثم رحل إلى المشرق ودخل الأندلس، ثم رجع إلى وطنه، وتوفي بتونس. ذكره الحضرمي فقال:" كان صدرا في الطلبة والكتاب فقيها، كاتبا أديبا حاجا رواية متصوفا فاضلا صاحب خطة الإنشاء بتونس، ذا تواضع وإيثار وقبول حسن، له شعر رائق، ونثر فائق، وكتابة بليغة، وتأليف مستظرفة..."(22).

ومن أكابر علماء الجزائر في القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن الهجري، الذين تعلموا في تونس، وابقوا على علاقتهم بها بعد ذلك، العالم الجزائري الشهير عبد الرحمان الثعالبي (786 - 775 هـ)، (1384 - 1480م)،

صوفي من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلمائها ولد ونشأ في واد يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، وتعلم في بجاية وتونس ومصر(23).

من أشهر علماء الجزائر في تونس(24) خلال القرن الخامس عشرا لميلادي، التاسع الهجري، يمكن ذكر الرضاع محمد بن قاسم بن عبد الله الأنصاري، أبو عبد الله، المتوفى (894 هـ)، (1489م)، من كبار فقهاء المالكية في عصره، قاض، نحوي، خطيب، عارف بالحديث(25).

ولد الرصاع بتلمسان حيث تلقى تعليمه، وأخذ عن شيوخها ولكنه نشأ في تونس التي استقر بها نهائيا حوالي (831 هـ)، وولي قضاء الجماعة بما، ثم اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه، متصدرا للإفتاء وإقرأء الفقه وأصول الدين والمنطق والعربية وغيرها من علوم عصره، واستمر هكذا إلى أن وافته المنية بتونس.

وفي نفس الزمان والمكان نجد الطولقي إبراهيم بن محمد الأخضري، المتوفى (899 هـ)، (1494م)، من كبار علماء المالكية في عصره، عارف بالأصول، واللغة العربية والمنطق وعلم الكلام والحديث وغيرها من علوم عصره(26) ولد بطولقة (بسكرة)، ثم استقر نهائيا في تونس حوالي (828 هـ)، وتصدى للتدريس والإفتاء، وبقي هكذا إلى أن توفي بها.

وهناك الغبريني عيسى المتوفى (813هـ)، (1410م) (27)، من أهل بجاية من كبار الفقهاء في عصره، قاض، عالم بالحديث نشأ بتونس وأخذ عن كبار علماء عصره هنالك، وولي قضاءها وإمامة جامع الزيتونة، وهو أحد شيوخ عبد الرحمان الثعالبي.

ومن علماء الجزائر الذين عاشوا في نفس العصر ونشأوا بتونس وولوا قضاءها وإمامتها، نذكر القسنطيني ابا القاسم بن أحمد الوشتاني، المتوفى(26)، (847 هـ)، (1443م)، وهو قاض من كبار فقهاء المالكية، نشأ بتونس، وأخذ عن علمائها الكبار، وولي قضاء الجماعة وإمامة جامع الزيتونة وخطابته والفتوى به، مات مقتولا بتونس(28).

وبنهاية القرن الخامس عشر الميلادي، التاسع الهجري تنتهي مرحلة من مراحل حركة علمائنا نحو تونس، لتبتدئ مرحلة أخرى، هي المرحلة الثالثة.

1· 3 / المرحلة الثالثة:

وتمتد هذه المرحلة زمنيا من نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وقد يلاحظ الباحث ببساطة الكساد الثقافي والعلمي الذي يميز هذه الفترة التي هي كما هو واضح، فترة الحكم العثماني في كل من الجزائر وتونس، وقد يتجلى الفتور هذا في عدد ونوعية العلماء الجزائريين الذين عاشوا خلال هذه الفترة تارة في الجزائر وتارة أخرى في تونس. أما عن عددهم فلقد أحصينا حوالي تسعة علماء خلال ثلاثة قرون كاملة، انتقلوا بين الجزائر وتونس طلبا للعلم والمعرفة في ظروف تكاد تكون استثنائية، إذا ما قورنت مثلا بظروف القرنين الرابع عشر الخامس عشر مثلا، غير أن الظروف الصعبة هذه وفترة الانحطاط التي دخل فيها المغرب الكبير، لم تمنع بعض علماء الجزائر من البروز في علوم عصرهم، ولكن كما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن عددهم كان يعد على أصابع اليد.

والحق أن هذه الوضعية لم تكن خاصة بالجزائر وحدها، ولا تونس ولا المغرب، بل كانت وضعية عامة سادت العالم العربي، بل الإسلامي كله، الذي بدا في التأخر ليترك المجال فسيحا لحضارة الغرب الزاحفة عليه.

وكثير من المؤرخين والباحثين الجزائريين، وغير الجزائريين الذين يحملون خطا الدولة العثمانية مسؤولية ما آلت إليه بلدان المغرب الكبير، خلال تواجدها به، من كساد وفساد ثقافي وعلمي، ولكن السؤال الهام هنا: هل الدولة العثمانية في عقر دارها كانت أوضاعها أحسن ؟ أم كانت تعيش وضعية أخرى غير التي كانت سائدة عندنا؟ هل مارست سياسة ثقافية وتعليمية في المغرب العربي غير التي مارستها في بلاد الأناضول؟ والجواب قطعا لا، ومن هنا يبدو واضحا التخلف والتقهقر، الذي يكمن في هياكل الدولة نفسها وفي سياستها العامة والخاصة وفي نمط سلوكاتها المختلفة وفي عدم مسايرتها وتأقلمها مع العصور التي كانت تعيشها.

لقد ولدت الدولة العثمانية ونشأت وماتت دولة تقليدية، وعمرها الطويل الذي يقدر بسبعة قرون وربع القرن لم يخرجها من تقليديتها في كل المجالات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبحكم علاقة الجزائر

وتونس وطرابلس بهذه الدولة، فلم يكن بوسع هذه الدول المغاربية إلا أن تحذوا حذوها لتسير في خطوط سياستها العريضة، بل في سياسة العصور الانحطاطية التي فعلت فعلها في العالم الإسلامي، بحيث حالت دون تقدمه ومسايرته للحركة النهضوية الأوروبية التي نشأت وتطورت على حسابه.

وخلال المرحلة هذه، التي نحن بصدد دراستها، الموافقة للعصور الانحطاطية، فخلال أكثر من ثلاثة قرون، لم نحص سوى عشرة(10) علماء جزائريين، كانت لهم علاقة ما بتونس.

وبما أنها عصور انحطاط حضاري وفكري فإن المرء لا يجد فيها عالما واحدا ذا شهرة وصيت مثلما مر بنا في العصور السالفة، وكل ما هنالك أننا نجد بعض الأسماء، ولكن بدون فائدة كبيرة، ولعل أشهرها:" الثعالبي عيسى بن محمد بن عامر الجعفري(29)، (1020 - 1080هـ)، (1611 - 1669م)، وهو محدث، من أكابر فقهاء المالكية في عصره أصلا من وطن الثعالبة (مدينة الجزائر)، ولد ونشأ في منطقة القبائل الكبرى، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة حيث أخذ عن بعض علمائها، ثم رحل إلى تونس ومنها إلى الشرق العربي، مات في مكة(30)، ومثله كانت علاقة أحمد التجاني (31) (1150 - 1230 هـ)، (1737 - 1815م)، بتونس الذي أقام فيها مدة وهو قاصد الحجاز سنة (1186 هـ) وإن يحسب التجاني فإنما يحسب على المغرب حسب المنهاج الذي سطرناه لدراستنا وليس على تونس، وذكر اسمه في هذا الباب يأتي فقط من حيث تبيان قلة وندرة علماء هذه الفتوة على أن كتب التراجم والسير تذكر أن الفكون قاسم بن يحي، المتوفى (965هـ)، (1558م)، وقد واصل دراسته بتونس وولي الإمامة بها، ثم عاد إلى قسنطينة مسقط رأسه، فولي قضاءها قاسم بن يحي هذا، من عائلة ابن الفكون القسنطينية الشهيرة بعلمها ومكانتها بين الاسر المؤثرة في الحياة الاجتماعية والسياسية(32)، كما تذكر نفس المصادر، عاشور ابن عيسى القسنطيني (984 - 1084هـ) (1576 - 1664م)، عالم، رحال، من فقهاء المالكية(33)، استقر بتونس أخذ عن علمائها. مات بتونس. وإلى جانب هؤلاء هنالك بعض العلماء الآخرين الذين عاشوا خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها وهم: قدورة سعيد بن إبراهيم المتوفى (1066 هـ)

(1656م)، وهو تونسي الأصل جزائري المولد والنشأة(34). وعزوز بن مصطفى المتوفى (1282هـ) (1768م)، مؤسس الزاوية الرحمانية بنفطة(35) . (والأفضلي يحي صالح (1120-1223هـ)، (1708-1808م)، من علماء بني يزقن، تعلم في جربة، ثم عاد إلى وطنه حيث اشتغل بالتدريس إلى أن توفي(36)، والرحموني محمد الصالح (1152 - 1242هـ)، (1739 - 1826م)، الذي تعلم بتونس ثم عاد إلى وطنه فاشتغل بالتدريس في بلاد القبائل إلى أن توفي(37).

وبنهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن الذي يليه تدخل حركة العلماء الجزائريين نحو تونس مرحلة أخرى، تضاهي أهمية المرحلة الثانية التي مرت بنا نوعا وكما.

1 · 4/ المرحلة الرابعة:

تمتد هذه المرحلة زمنيا من بداية القرن التاسع عشر إلى حوالي منتصف القرن العشرين الميلاديين، وقد أحصينا خلال هذه الفترة ما يناهز 30 عالما، أحد عشر منهم من أهل القرن (19م)، و(14 هـ)، عاشوا ما بين القرنين التاسع عشر والعشرين وخمسة(5) من أهل القرن العشرين علما أن دراستنا تقف عند نهاية العشرينات من هذا العصر، وإن اتضح غير ذلك فتلك حالة استثنائية غير قابلة لقياس كل الحالات عليها.

ومن خلال تتبعنا للمثقفين الجزائريين الذين عاشوا خلال القرن التاسع عشر ميلادي، تبين لنا أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف، فمنهم من دخل في خدمة الحكومة التونسية، واستكتب فيها، وسكن تونس ومات فيها. أما الصنف الثاني فهو الذي رحل إلى تونس لطلب العلم بها بجامعة الزيتونة، ثم رجع إلى بلاده بعد إتمام دراسته، أما الصنف الثالث والأخير فقد أقام في تونس إقامة مؤقتة أو دخلها لفترة محدودة ثم انتقل منها حيث مقصده الذي كان عادة مشرقيا.

وباعتبار أن القرن التاسع عشر الميلادي امتداد للعصور الانحطاطية، وعصر تقهقر وكساد ثقافي، فأين مكانته بين القرنين الخامس عشر والعشرين الميلاديين؟

إن القرن الخامس عشر الميلادي عاما فاصل بني مرحلتين هـامتين من تاريخ الجزائر الثقافي، باعتباره يفصل بين عصور الازدهار العلمي والثقافي وعصور الفساد والكساد، أما القرن العشرين فهو بداية مرحلة أخرى هـامة بالنسبة للجزائر، والتي هـي مرحلة النهضة المعاصرة، لا من حيث المجال الثقافي فحسب ولكن أيضا من حيث المجالين السياسي والاجتماعي ويمكن إضافة مجال رابع إلى المجالات الثلاثة السابقة، والذي هـو المجال الديني الذي طرحت مشاكله بحدة، خلال الثلث الأول من القرن العشرين، الشيء الذي تمخض عنه وضع النواة الأولى لحركة أصلاحية جزائرية اعتمدت أساسا على التعليم العربي للنهوض بالبلاد وإخراجها من دائرة التخلف والتقهقر إلى دائرة التقدم والرقي الحضاري والعلمي.

وإذا كان القرن التاسع عشر الميلادي قرن الحوادث الجسام التي شهدتها منطقة المغرب الكبير ومنها على وجه الخصوص انتهاء العهد العثماني في كل من الجزائر (1830) وتونس (1881) وإحلال محلها العهد الاستعماري الفرنسي - وفشل المقاومة المسلحة في كلا القطرين، أمام الاستعمار الفرنسي، فان الربع الأخير من هـذا القرن، وبالخصوص العشرية الأخيرة منه، وبالنظر إلى أوضاع المنطقة السياسية والاجتماعية والثقافية، قد جعل الجزائريين يلجأون إلى طرق وأساليب أخرى لتصفية حساباتهم مع الاستعمار الفرنسي، من ذلك خلق وعي وطني وبث دعاية عريضة تنديدية ضد الاستعمار الفرنسي في البلاد، وذلك باستعمال الوسائل التي جلبها الاستعمار إلى البلاد، المادية منها والمعنوية، ومن الأولى الطباعة والصحافة، والثانية استخدام عناصر مقومات الثورة الفرنسية الكبرى وشعارات فرنسا السياسية والاجتماعية، ومنها الديمقراطية، والمساواة، والحرية، والإخاء، وغيرها من الشعارات التي تغنى بها الاستعمار الفرنسي في الجزائر ولكن تطبيقها كان قصرا على فرنسا.

ومهما يكن فلقد تميز القرن التاسع عشر بالجمود الفكري والخمول الثقافي، وانعدام تعليم عربي، أو مدرسة تربوية عربية من شأنها تحضير الأجيال حضاريا واجتماعيا وسياسية للقيام بأدوارها المنوطة بها في كل المجالات وذلك ما يتضح جليا من خلال حركة المثقفين الجزائريين باللغة العربية نحو تونس.

فخلال هذا القرن، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لم نعثر إلا على النزر القليل من المثقفين الجزائريين، الذين شدوا رحالهم نحو تونس، أما عن الذين كان استقرارهم دائما بتونس، عملوا وسكنوا وتوفوا بها، فعددهم أربعة على الأكثر، منهم: محمد بن عيسى الجزائري(38)، (1243-1310هـ) (1828 - 1892م)، وهو كاتب من الكتاب البلغاء عارف باللغة العربية وعلومها وبالتفسير، ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر ثم انتقل إلى تونس سنة 1282هـ، وتولى بها رئاسة الكتابة العامة، ثم خطة الإنشاء سنة 1302 هـ، ثم انقطع إلى العلم إلى أن توفي.

ومن المعاصرين لمحمد بن عيسى، الخيراني قاسم بن محمد بن علي الجزائري(39)، ثم التونسي، لمكوثه مدة طويلة في تونس، وهو مهتم بعدة علوم من علوم عصره، متكلم، ناظم، عارف بالفقه، وقد توفي الخيراني سنة (1308هـ)، (1890م)، وفي نفس الفترة الزمنية عاش وتوفي الطولقي الحسين بن علي بن عمر الطولقي(40)، (1236 - 1309هـ)، (1830 - 1891م)، وهو من أهل طولقة (بسكرة) انتقل إلى تونس، وسكن بها وتوفي بها، وهو فقيه مالكي، صوفي مهتم ببعض علوم عصره، وإلى هؤلاء يضاف العربي بن عطية البوعبدلي الشلفي(41)، (ق 13هـ) (ق 19 م)، الصوفي، من دعاة الطريقة القادرية، رحل إلى المغرب ثم إلى تونس، التي مكث بها إلى أن توفي.

وهناك بعض الفقهاء والقضاة الجزائريين، الذين عاشوا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، والذين تعلموا في الزيتونة بتونس، ثم رجعوا إلى وطنهم، حيث قضوا بقية حياتهم متصدين للتدريس والقضاء(42)، وهناك نوع رابع وهو الذي دخل تونس آتيا إليها من فاس(43)، أو قسنطينة(44)، ليستقر فيها مدة وجيزة، ثم يرجع إلى بلده، أو يرحل منها نحو المشرق العربي.

ومن زاوية أخرى فللقرن التاسع عشر الميلادي وجه آخر، ونعت آخر غير الذي نعتناه به سابقا، إذا نظرنا إلى أخرياته، باعتبارها رابطة وهمزة وصل بين عصور الانحطاط الثقافي والعلمي في الجزائر وعصر النهضة، بحيث هناك ثلة هامة من الصفوة الجزائرية، التي أخذت على عاتقها مهمة النهوض بالبلاد ثقافيا وعلميا، والتي لم تجد بدا لتأدية مهامها على أكمل وجه ممكن، أن تقصد تونس وبالذات جامعة الزيتونة لتغرف هناك من مناهل العلم ما تيسر لها، ثم تعود إلى موطنها الأصلي، دون ان تقطع الصلة بينها وبين تونس، بل كانت إقامة هؤلاء هنالك، مهما كانت مدتها، طويلة أم قصيرة، عاملا هاما في ربط الصلات بين الجزائر وتونس ومد جسر ثقافي علمي، ثم سياسي بين القطرين، وذلك بتوجه تلاميذهم وطلابهم نحو المراكز الثقافية في تونس وبالأخص منها جامعة الزيتونة، حيث يتكون هؤلاء ثم يرجعون إلى بلدهم، وأحسن مثال على ذلك ما قام به خلفاؤه من بعده في الخمسينات، وذلك بجعل معهد ابن باديس في قسنطينة كملحقة رسمية لجامعة الزيتونة ليتسنى للطلبة الجزائريين الالتحاق اوتوماتيكيا بالزيتونة مباشرة بعد انتهاء دراستهم الاعدادية في معهد ابن باديس، وليس المجال هنا للتوسع أكثر من هذا الموضوع الهام، ومرادنا من الإشارة إليه يكمن فقط في التذكير بالعلاقات الطيبة الثقافية والعلمية والسياسية التي وجدت بين القطرين الشقيقين تونس والجزائر عبر أكثر من تسعة قرون خلت.

ولئن كانت العلاقات السياسية بين البلدين قد تأثرت سلبا أو إيجابا بالظروف التي كانت تمر بها المنطقة، واتخذت في بعض الأحيان مجرى آخر، غير الذي ترغب فيه الجماهير المغاربية، فإن العلاقات الثقافية والعلمية والاجتماعية، لم تؤثر فيها تلك المواقف، التي اتخذت من هذا الجانب أو من الجانب الآخر، والتي بالنسبة إليها لم تكن سوى عبارة عن سحابة عابرة، سريعة التفكك والتبدد... وهل تقوى السحب مهما كان سمكها وكثافتها، في مغربنا الكبير، على أشعة الشمس وفعلها فيها؟

والعلماء الجزائريون الذين عاشوا فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، والذين كانت لهم علاقة علمية وحضارية واجتماعية وسياسية بتونس أولا ثم بمصر ثانية بالنسبة للبعض منهم، قدر لهم ان

يحملوا على عاتقهم مهمة النهوض بالبلاد، في المجالات المذكورة سابقا، في الفترة الممتدة ما بين 1900 و1939، وأن يتركوا بصماتهم(45) واضحة جلية لا في الناحية الاجتماعية والثقافية والعلمية للمجتمعين الجزائري والتونسي فحسب، ولكن أيضا في الناحية السياسية، بحيث كان لهم دور كبير في توجيه الحركة الوطنية الجزائرية توجيها يتماشى وطموحات الجماهير الشعبية العربية الإسلامية.

وفي هذا الإطار، وليس في غيره، يمكن وضع حركة العلماء الجزائريين، ودراسة ما ترتب عنها من تطورات ونتائج أدت في آخر مطافها إلى دحر الاستعمار الفرنسي واسترجاع السيادة الوطنية كاملة دون نقصان.

وما يلاحظ على هذه الفترة، التي هي من أهمّ فترات تاريخ الجزائر المعاصر، أنها أنجبت كل العلماء، والشخصيات السياسية، التي تعلمت وتثقفت ثقافة عربية إسلامية، والتي قدر لها أن تمسك بزمام الأمور، لتلعب الدور الريادي المنوط بها تارة، أو على الأقل ان تحتل مكانة مرموقة في الصنف الثاني للحركة النهضوية الوطنية.

ولتوضيح الرؤية لدى القارئ العادي، يمكن تصنيف وترتيب هؤلاء العلماء، حسب تاريخ وفاتهم كما يلي:

* صالح بن مهنا (1854 - 1910)، محمد المكي بن عزوز (1854-1915)،(46)، محمد التهامي شطة(47) المتوفى سنة (1915م)، الخنقي عاشور (1848 - 1929)، ابن سماية عبد الحليم (1866 - 1933)، السوفي إبراهيم (1888 - 1934)، حسن بولحبال (1897 -؟..) عبد الحميد بن باديس (1889 - 1940م)، مبارك ميلي (1898 - 1945)، مامي إسماعيل (1889 - 1956)، الزاهري محمد السعيد (1899 - 1956)، العربي التبسي (1895 - 1957) اطفيش إبراهيم بن يوسف (1888 - 1965) أبو اليقظان إبراهيم (1888 - 1973)، (47).

ولد صالح بن مهنا في نواحي القل (عنابة)، ونشأ بقسنطينة، وتعلم بها، وانتقل منها إلى تونس ثم إلى القاهرة لمواصلة تعليمه، ثم عاد إلى

قسنطينة حيث انصرف إلي التدريس إلى أن توفى بها، وصالح بن مهنا القسنطيني بالأزهر، كما كان يعرف في عصره، عالم سلفي من رواد الحركة الإسلامية الذين حاربوا البدع، له رأي في هذا المجال قد يكون جديرا بالدراسة والبحث(48).

ومن علماء هذا العصر، الذين كان لهم اشتغال بالسياسة محمد المكي بن عزوز (49)(1280 - 1334 هـ)، (1854- 1915) من أكابر الأدباء في عصره له شعر، عالم بالفقه والحديث، قاض، أصلا من مدينة طولقة (بسكرة)، رحلت عائلته إلى مدينة نفطة بتونس، حيث ولد وتعلم بها وبجامعة الزيتونة، ولي إفتاءها وقضاءها، دعا إلى مقاطعة فرنسا اقتصاديا خلال زيارته لها... رحل إلى الأستانة، حيث عينه السلطان عبد الحميد مدرسا للحديث والفقه في دار الفنون، وكانت له شهرة في العالم الإسلامي، مات بالأستانة، له عدة مؤلفات لا تزال كلها مخطوطة.

وقد تبنى محمد التهامي شطة(50) المتوفى حوالي (1333هـ)، (1915م)، نفس الخط السياسي والاجتماعي والديني، لمعاصره السابق، الذكر، محمد المكي بن عزوز، وهو كاتب معروف في عصره، أديب من دعاة الإصلاح له اشتغال بالسياسة، ولد وتعلم ونشأ في مدينة الأغواط، وعندما احتلها الفرنسيون، سنة 1852، غادرها إلى تونس التي أقام بها مدة عقدين من الزمن، بحيث لم يغادرها حتى احتلال فرنسا لها (1881)، ليستقر في دمشق، حيث أنشأ صحيفة "المهاجر" في 11 جانفي 1912، ثم أنشأ صحيفة أخرى، وهي "الاتحاد الإسلامي " في 23 جانفي 1915، ثم انتقل إلى الأستانة حيث توفي.

ومن علماء الجزائر في نفس الفترة، الذين كان لهم اشتغال بالدين والسياسة، عاشور الخنقي(51)، (1264 - 1348هـ)، (1848 - 1929م)، فقيه مالكي معتبر، له اشتغال بالحديث، وباحث، ولد في خنقة سيدي نواحي (بسكرة)، ونشأ بقسنطينة، حيث تعلم، ثم انتقل إلى نفطة بتونس طلبا للعلم فنفاه الفرنسيون إلى الأغواط.

وإلى نفس الرعيل، ينتمي ابن سماية عبد الحليم(52) (1283 – 1351هـ)، (1866 - 1933م)، وهو من أوائل المصلحين الجزائريين، الذين اعتنقوا مذهب محمد عبده (1849 - 1905). ولد بمدينة الجزائر،

حيث تعلم ونشأ، ومنها انتقل إلى تونس طلبا للعلم، ثم عاد بلده، حيث تولى خطه التدريس في المدرسة بالجزائر العاصمة، إلى أن توفي. ويختلف ابن سماية عن العلماء الذين سبقوه ذكرا، كونه مهتما بتقويم الأخلاق والمسائل الاجتماعية والدينية، وما دون ذلك فليس من شأنه.

ولكن أشهر هؤلاء إطلاقا الشيخ عبد الحميد بن باديس (53) (1308 – 1359هـ)، (1889 - 1940م)، من أكابر رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، واضع أسس النهضة المعاصرة الجزائرية، مفكر فذ، وعبقري من عباقرة عصره، صد عن الدنيا وملذاتها ليكرس حياته خدمة لبني وطنه، عاش نظيفا، ومات نظيفا، بالنظر إلى بعض نظرائه الذين قد يقال عنهم يوما ما الشيء الكثير، الذي قد ينزع الغبار عن حقائق، قد لا تسر كثيرا من الأحياء في أيامنا هذه، ولا تخدم ماضيهم " التاريخي " في شيء.

وبدون ريب، سيبقى نجم الشيخ الأمام عبد الحميد بن باديس متألقا في الأفق أمدا طويلا، وقدوة حسنة للنشء الصاعد، ومواقف شهامة، ورجولة، وشجاعة نادرة يحتذي بها على العصور. ولد بمدينة قسنطينة في أسرة ميسورة ماديا، محبة للعلم والعلماء، ذات مكانة اجتماعية مرموقة، بحيث كانت من أشهر الأسر في قسنطينة في وقتها، وهو ما سهل كثيرا على ابن باديس المضي قدما في مهمته التربوية والإصلاحية، وكان بالنسبة إليه بمثابة الدرع الواقي، الذي حال دون وصول يد الاستعمار الفرنسي القاهرة إليه. وقد اتخذ ابن باديس بعض المواقف الصلبة، في بعض الفترات من تاريخ حياته، دون تردد ودون رجعة، ولم تجد الإدارة الاستعمارية الفرنسية بدا من النفوذ إليه والانتقام منه، علما أن تقنييها ومتخصيصها في السياسة والاجتماع، قد نبهوها بخطورة الحركة التي كان يتزعمها ابن باديس، وعلى الرغم من ذلك وتفاديا منها لمواجهة صريحة لابن باديس وأنصاره سلكت معه إدارة الاحتلال، وعاملته معاملة غير التي عاملت بها نظراءه، الذين سلطت عليهم القهر والتنكيل قدر ما استطاعت ليعدلوا عن آرائهم إزاءها وليتخلوا عن أمر الإصلاح الاجتماعي والديني، والذي اعتبرته إدارة الاحتلال، كخطر يهدد وجودها في الوطن، مثل الشيخ الطيب العقبي، نموذج حي على ما ذهبنا إليه.

ومهما يكن فان كانت حياة عبد الحميد بن باديس قد درست من جميع جوانبها، فلقد يبقى جانب هام يدرس، وهو الجانب السياسي، بل هناك من غالى كثيرا في تقديم حياته وأخرجه من إطاره الحقيقي إلى إطار آخر قد يتسبب في بعض الغموض والإبهام فيما يخص الرجل وهذه قطعة ليست من مسؤولية المختصين وليست لهم علاقة بها من قريب أو بعيد.

ولكن الذي يهم موضوعنا، والذي له علاقة مباشرة به، ان عبد الحميد ابن باديس، وبدون منازع من واضعي، بل واضع، أسس التواصل الثقافي والعلمي بين تونس، والجزائر، بحيث كانت رحلته، سنة 1908، نحو جامعة الزيتونة بتونس، طلبا للعلم، فاتحة عهد جديد بين القطرين الشقيقين. وبعد إتمام دراسته في تونس رجع عبد الحميد بن باديس إلى مسقط رأسه (1911 - 1912). حيث تصدى للتدريس في جامع سيدي لخضر وجامع سيدي قموش، دون أن يقطع صلاته بتونس وبشيوخه فيها. ومنذ رجوعه إلى أرض الوطن هيا عبد الحميد بن باديس خطة وبرنامجا تعليميا يمكن الشبيبة الجزائرية من نفض غبار الجهل والأمية نهائيا عليها ويقطع الصلة كلية بين ماض عقيم وحاضر زاهر مبتسم، كما كان بتصوره الشيخ عبد الحميد بن باديس.

والفرق الجوهري بين عبد الحميد بن باديس وغيره من علماء عصره، إن له مشروعا تعليميا - تربويا وثقافيا، كان يرمي من خلاله إلى النهوض بالبلاد، في وقت بلغت فيه ادنى درجات انحطاطها، وذلك على خلاف نظرائه الآخرين الذين لم يكن لهم أي مشروع، وذلك هو السر في نجاح عبد الحميد بن باديس ودخوله التاريخ من أبوابه الواسعة.

ولضمان النجاح لمشروعه، منذ رجوعه إلى أرض الوطن، من تونس سنة 1912، أخذ عبد الحميد بن باديس يتصل بطلبة العلم في قسنطينة وضواحيها، يحرضهم على التوجه إلى تونس لإتمام دراستهم، ويبدو أنه استطاع أن يوجه بعضهم إلى الزيتونة، وذلك قبيل اندلاع الحرب الكونية الأولى بشهور قلائل(54)، ولكن اندلاع الحرب وظروف عدم الامن، وما ترتب عنها من نتائج قد حال دون مواصلة "البعثة" هذه تعليمها في الزيتونة واجل كل شيء إلى ما بعد الحرب.

ولم يرضي نشاط عبد الحميد بن باديس كل الناس، بل هنالك من رأى فيه أنه تهديد لمصالحه، الشيء الذي عرض ابن باديس إلى مضايقة ومكائد حاكها أعداؤه فرحل إلى المشرق وحج، وخلال رحلته لقي جماعة من العلماء من الجزائر وغير الجزائر.

وبعد انتهاء الحرب عاد إلى أرض الوطن فأخذ يعلم النشء الجزائري ويعده للمستقبل القريب والبعيد، ولتكوين أعوان له يساعدونه في مهمته التعليمية يصطفي النجباء من طلابه ليوجههم نحو الزيتونة، وقد أخذ هؤلاء طريقهم تحت تأثيره وعملا بنصائحه نحو تونس في بداية العشرينات الفارطة، ليرجعوا بعد سنوات قلائل إلى أرض الوطن، مكونين مؤهلين للقيام بالمهمة المنوطة لهم، والتي انحصرت خلال هذه الفترة المتقدمة من نشاط ابن باديس، في أعطاء تعليم نقي، يستجيب وأهداف النشء الصاعد.

ومن أوائل تلاميذ ابن باديس، الذين درسوا مثله في الزيتونة، وتخرجوا منها بين سنتي 1924 - 1925: محمد مبارك الميلي، والعربي التبسي، والسعيد الزاهري، والقسنطيني عبد السلام، ومحمد العيد آل خليفة، ويعتبر هؤلاء إلى جانب البعض الآخر الذي رجع إلى أرض البلاد من المشرق(55)، الرعيل الأول، والسند الأساسي الذي استند إليه ابن باديس لوضع ركائز حركة علمية، وتربوية، وإصلاحية دينية وأخلاقية واجتماعية، لنفض الغبار على المجتمع الجزائري وإيقاظه من سباته العميق.

والحق أن ظروف العشرينات كانت جد مواتية، وعامل من العوامل الهامة التي ساعدت ابن باديس علي القيام بنشاطه المتعدد(56) الجوانب والأهداف، بحيث أصدر سنة 1926 جريدة المنتقد، ثم مجلة الشهاب، في نفس السنة، كما أصدر فيها بعد صحفا أخرى مثل الصراط، والشريعة والسنة، والتي كانت كلها تصب في مجري واحد، والذي هو النهوض بالبلاد وجعلها تساير ركب الأمم المتقدمة.

ولخطورة الدور الذي لعبه ابن باديس في إذكاء الروح الوطنية وصقل مشاعرها وتوجيهها توجيها يتماشى ومشروع المجتمع الذي كان يتوخاه، فان حياته على قصرها، بمكن تقسيمها إلى خمس مراحل هامة، لكل مرحلة

صفاتها ومميزاتها. فالمرحلة الأولى تمتد من سنة 1889 إلى سنة 1912، أما المرحلة الثانية فتمتد من سنة 1912 إلى سنة 1919، والمرحلة الثالثة وهي التي تمتد زمنيا فيما بين سنتي: 1920 - 1931، أما المرحلة الرابعة فتمتد ما بين سنتي: 1931 - 1936، أما المرحلة الخامسة والأخيرة فتمتد بين سنتي:1936-1940.

وخلال مراحل حياة ابن باديس القصيرة الطويلة هذه لم تخل مرحلة من مراحلها من التأثير في البلاد التونسية التي كانت بالنسبة إليه مصدر إلهام وإشعاع حضاري، وعلمي اتجه إليه ووجه إليه تلاميذه، مدة تفوق عقدين من الزمن، متجولا أولا في شرق البلاد و في جنوبها، ثم في وسطها، داعيا أهلها للاحتذاء بالسلف الصالح، الذي اقتنى المعارف والعلوم من منابعها وأصولها الأولى. ومن وجهة نظر ابن باديس هذه " فالعلم ليس منبعه الشرق". كما يذهب إلى ذلك البشير الإبراهيمي، وغيره من الجزائريين الذين تعلموا بالمشرق العربي، إنما ((العلم منبعه تونس))، وقد يطبق ذلك حقا وحقيقة عليه حتى نهاية المرحلة الرابعة من حياته، بحيث تشير بعض الوثائق(57)، إلى أنه، إضافة إلى تونس التي زارها في نهاية هذه المرحلة من حياته، وضع مشروعا لبعثة طلابية نحو الأزهر بالقاهرة، وهي أول التفاتة منه نحو المشرق العربي، وما عدا ذلك فليس هناك ما يثبت إن قبلته الحضارية والعلمية كانت غير تونس. وليس المجال هنا للخوض أكثر في حياة ابن باديس. ومن تلامذته الذين كانت لهم علاقة وطيدة بتونس، المبارك الميلي(58)، (1316 - 1364)، 1898-1945)، مؤرخ، كاتب، واكب حركة الإصلاح، ولد في ميلة، تعلم بها وبقسنطنية، ومنها انتقل إلى تونس حيث أتم تعليمه في الزيتونة، وعاد إلى بلده فعمل في حقل التعليم .وقد لا تعود شهرة الميلي إلى شيء سوى لاهتمامه بالتاريخ، حيث ألف في ظروف خاصة كتابه المعروف: ((تاريخ الجزائر في القديم والحديث)).

ومن أبرز علماء هذه الفترة، وأكثرهم تحمسا للقضية الوطنية، والذين لعبوا دورا يضاهي الدور الذي أداه ابن باديس في حركة النهضة الجزائرية الحديثة، الشيخ العربي التبسي(59)، (1312 - 1376 هـ)، (1895 - 1957م)، قطب من أقطاب الفكر الإصلاحي المعاصر، جمع بين الإصلاح والوطنية

الثائرة، من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين، ولد الشيخ العربي التبسي في بلدة أسطح قرب تبسة وتعلم بزاوية نفطة وجامعة الزيتونة بتونس، ثم بالأزهر بمصر، وعاد إلى وطنه (1925) فاشتغل بالتعليم بتبسة، وشارك في الحركة الإصلاحية قولا وكتابة، اتصل به ابن باديس في نفس السنة واتفقا معا على العمل في سياق الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي، وفي 1935 انتخب كاتبا عاما لجمعية العلماء، ثم نائبا لرئيسها سنة 1940، ولما رحل الإبراهيمي إلى المشرق سنة 1952 خلفه الشيخ العربي التبسي على رأس الجمعية التي أدار شؤونها إلى أن حلتها جبهة التحرير الوطني في سنة 1957 وبسبب مواقفه الوطنية الثائرة سجنه الاستعمار الفرنسي عدة مرات، وفي 17 افريل 1957 خطفه العساكر الفرنسيون واغتالوه(60).

وان كانت هناك شخصية جزائرية ظلمها التاريخ، ولم يعط لها حقها، فإنها شخصية الشيخ العربي التبسي، ونحن نعيش عصر النسيان يجب علينا أن نذكر أنه لمدينة تبسة عالم آخر عاش في غير عصر العربي التبسي، وهو محمد بن عيسى التبسي، شمس الدين أبو عبد الله المتوفى نحو 1436م، من أكابر علماء عصره، فقيه من كبار فقهاء المالكية: عالم بعلوم العربية، ولى قضاء (حماه) بسوريا، "شعلة نار في الذكاء، كثير الاستحضار، عارفا بعدة علوم خصوصا العربية"(61)، مات ببرصة في بلاد الروم(62).

ومن كبار علماء الجنوب الجزائري، الذين عاشوا في نفس الفترة الزمنية والذين لهم شأن يذكر علميا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف أطفيش، أبو إسحاق(63)، (1305 - 1385هـ)، (1888 - 1965م)، عالم، أديب، كرس حياته خدمة في سبيل وحدة المسلمين وإصلاح أمورهم، وعلى الرغم من اختلاف سكناه بين بني يزقن، وتونس والقاهرة، فإن مساعيه ومجهوداته أسياسية، التي بذلها من أجل النهوض بالأمة واستفاقتها من سباتها العميق، كانت واحدة لم تختلف في شيء، ولد أبو إسحاق إبراهيم أطفيش في قرية بني يزقن، بوادي ميزاب، حيث تلقي تعليمه الابتدائي على يد شيوخ أهل المنطقة، وفي سنة 1917 (64)، وتحت تأثير ما قام به الشيخ عبد الحميد بن باديس من زيارات ودعوات في الجنوب الجزائري لإعداد النشء وتوجيهه نحو الزيتونة لينهل ذلك من منابع

العلم والمعرفة، انطلقت من وادي ميزاب أول بعثة علمية في اتجاه جامعة الزيتونة، في السنة المذكورة سابقا بقيادة إبراهيم أطفيش، وقد ضمت هذه البعثة صفوة من الأدباء والكتاب والشعراء والسياسيين أمثال إبراهيم بن الحاج عيسى المعروف بأبي اليقظان، والشيخ صالح بن يحي، وشاعر الحركة الوطنية الجزائرية مفدي زكريا، والكاتب المجدد حمود بن سليمان رمضان، والأديب الكاتب عبد العزيزالثميني، ومحمد علي دبوز، وغيرهم(65).

وفي تونس وإلى جانب الشيخ عبد العزيز الثعالبي، شارك إبراهيم أطفيش في الحركة الوطنية، ومقاومة الاستعمار الفرنسي، فعمدت إدارة الاحتلال إلى نفيه من تونس وإبعاده عنها، فلجا إلى القاهرة في أواخر سنة 1923، حيث أنشأ مجلة المنهاج، وذلك في نفس الوقت الذي كان يعمل فيه في تحقيق بعض كتب التراث بالقاهرة، وقد كان أطفيش ممثلا لدولة عمان في جامعة الدول العربية، ورئيسا لوفدها الرسمي في هيئة الأمم المتحدة (في دورة 1960)، وقبل ذلك، كان قد أسس سنة 1956، بالقاهرة، أول مكتب سياسي لدولة عمان، واستمر في نشاطه هذا، ينشر المقالة السياسية والاجتماعية في المجالات والصحف المصرية، إلى أن توفي بالقاهرة(66).

وقد اقتضى أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى(67) آثار السلف الصالح (68)، (1306 - 1393هـ)، (1888 - 1973م)، فبرز في عدة علوم من علوم عصره، وهو صحفي، كاتب، شاعر، من رجال الإصلاح والتجديد، له اهتمامات بالتاريخ والتراجم والفقه، ولد بمدينة لقرارة، بالجنوب الجزائري، وتعلم بها وببني يزقن، ثم التحق بجامعة الزيتونة، بتونس، حيث اتم تعليمه وعاد إلى أرض الوطن في سنة 1925، حيث أصدر ما بين سنتي: 1926 - 1938 ثماني جرائد عربية عطلتها إدارة الاحتلال الواحدة تلو الأخرى، وكانت أولها جريدة "وادي ميزاب" التي صدرت في 1 / 10 / 1926، وفي سنة 1957، أصيب أبو اليقظان بمرض عضال أقعده الفراش فاعتكف في بيته بالقرارة على الدراسة والكتابة إلى أن توفي.

وإذا أتينا إلى القرن العشرين الميلادي، نلاحظ بكل بساطة، مرة أخرى نقلص عدد الأعلام الجزائرية في تونس، علما أن دراستنا هذه تتجاوز إطارا معينا، كما أنها تقتصر على العناصر التي عرفت في وقتها والتي أدت دورا اجتماعيا أو علميا، أو ثقافيا، أو سياسيا معينا، ومن هؤلاء يمكن ذكر الشاعر، الكاتب، رمضان حمود(69)، (1324 - 1347هـ)، (1906 - 1929م)، الذي عرف بآرائه الثورية وأفكاره التقدمية في الأدب والاجتماع، ولد بغرداية وتعلم بتونس، توفي بمسقط رأسه وفي الثالثة والعشرين من عمره.

ومن الشخصيات الجزائرية، خلال هذا العصر، التي كان لها دور يذكر في بعث الحركة الوطنية بتونس، صالح بن يحي بن الحاج سليمان(70)، المتوفى (1368هـ)، (1948م)، عالم إباضي، من مؤسسي حزب الدستور التونسي القديم. ولد في بني يزقن، بوادي ميزاب، حيث تلقى تعليمه الابتدائي، ثم أتم دراسته بتونس، التي استقر بها وكان ميسور الحال ماليا، فشارك في حركتها الوطنية إلى جانب الشيخ عبد العزيز الثعالبي، ولما أنشئ حزب الدستور التونسي القديم كان من مؤسسيه وعضوا إداريا فيه.

ومن أدباء وشعراء نفس الفترة الزاهري محمد الهادي السنوني(71)، (1320 - 1383هـ)، (1902 - 1963م)، ولد في قرية ليانة، قرب بسكرة، وتعلم بها وبقسنطينة وتونس، وشارك قولا وكتابة في الحركة الإصلاحية عرف خاصة بمؤلفه:" شعراء الجزائر في العصر الحاضر"(72).

ولعل أهم الشخصيات الجزائرية في هذه الفترة شاعر الحركة الوطنية الجزائرية، ثم شاعر ثورة نوفمبر 1954، مفدي زكريا(73)، (1331-1396هـ)، (1912-1976م)، يمتاز شعره شكلا ومضمونا بالإبداع والتجديد مقارنة بكثير من نظرائه المعاصرين له، ولد في وادي ميزاب، وبرهن على موهبته الشعرية وهو مراهق، لا يزال في مرحلة التحصيل والدراسة، رحل إلى تونس لإتمام دراسته، هنالك نضج وتحكم في الحرف العربي، ومنها انتقل إلى المغرب واتصل ببعض حكامه

ومنحهم، كما سبق له أن فعل مع حكام تونس . لمفدي زكريا شعر وقصائد قد تخلده الدهر، بسبب أصالتها، وصدقها، وقوة تعبيرها، منها: قسما بالنازلات الماحقات... نشيد ثورة أول نوفمبر 1954، ثم النشيد الرسمي للدولة الجزائرية، ونشيد الطلبة والعمال الجزائريين، وغيرها(74).

ومن رجالات الجزائر الأفذاذ، الذين كان لهم دور هام صنع الجزائر المعاصرة، والذين كان لهم علاقة ثقافية بتونس، الرئيس الراحل هواري بومدين، (1351 -1399هـ)، (1932- 1978م)، أحد زعماء الأمة العربية، الذين دخلوا التاريخ من أبوابه الواسعة. ولد الفقيد في قالمة، وتعلم بها وبقسنطينة، ومنها طالبا للعلم انتقل إلى تونس سنة 1949، التي درس بها مدة من الزمن، ثم التحق بجامع بالأزهر بالقاهرة، حيث واصل تعليمه. وعندما اندلعت ثورة نوفمبر 1954، كان بومدين طالبا بالقاهرة، متتبعا باهتمام كبير تطور أحداثها، الشيء الذي جعله يتصل بممثلي الثورة، في القاهرة، ويربط معهم بعض العلاقات، التي جعلته يلتحق بصفوف الثورة في عامها الثاني، وقد أهلته مواهبه العسكرية والقيادية، في سنة 1957، إلى تولية الولاية الخامسة (وهران)، ثم قيادة الأركان العامة سنة 1960. وخلال مدة وجيزة، برهن القائد بومدين، على سداد رأيه وشخصيته الفذة، وشجاعته، وبسالته، الشيء الذي أهله لاحتلال الصف الأول سياسيا وعسكريا بين مجموعة كبيرة من السياسيين والعسكريين الذين سبقوه إلى الميدان.

وبعد استرجاع السيادة الوطنية (1962)، عين القائد بومدين وزيرا للدفاع الوطني، ثم نائبا لرئيس مجلس الوزراء سنة 1963.

وفي 19 جوان 1965، تزعم حركة التصحيح الثوري، التي كانت الإشارة الأولى لبناء صرح الجزائر ((العظمى))، ((يابان)) المغرب الكبير والدول العربية في وقته، وتولى إثرها رئاسة مجلس الثورة والحكومة.

وكم كان تشاؤم الشعب الجزائري عامة كبيرا، والقائد الراحل يظهر على الشاشة الصغيرة ليعلن بنفسه عن تنحية وعزل بن بلة نهائيا عن الحكم. وهو ثاني حدث هام تعرفه الجزائر، بعد أحداث الحدود المغربية والولايات.

وقد بلغ تحفظ وحذر بعض العامة إلى حد غلق شاشاتهم الصغيرة عندما يظهر عليها القائد الراحل، ولكن في وقت وجيز أصبحت هذه الفئات نفسها من أكبر الدعاة له ومن المناصرين له أكثر تطرفا، لما أبداه الرجل من تفان وإخلاص لا في خدمة وطنه فحسب، ولكن أيضا في خدمة الأمة العربية جمعاء.

وبأسلوب حكيم، وبطريقة عملية علمية، وبمواقف قوية، لا غبار عليها، يسبقها العمل قبل القول، استطاع القائد الراحل، أن يقتحم بتفوق كبير الساحة السياسية الدولية، وأن يفرض كلمة الجزائر في المحافل الدولية، ويجعل منها طرفا يحسب له حسابه في كل القضايا الدولية.

وقبل وفاة الزعيم العربي جمال عبد الناصر شهيد القضية العربية، والفدائي المسبل والشجاع، من أجل رفع رؤوس العرب، ولكن هيهات... طرح الشارع العربي قضية الزعامة العربية، ولا أدري فيمن حصرها، أفي القائد الراحل هواري بومدين، أم في الزعيم الشهيد عبد الناصر...؟ والعبرة من ذلك أن هواري بومدين، لم يكن حقا رجلا عاديا، بل علما من أعلام الجزائر ومفخرة من مفاخرها في الصدق والإخلاص والشهامة والرجولة والوطنية والشجاعة والإقدام.

وفي عام 1976، في استفتاء عام، انتخبه الشعب الجزائري، بدون تحفظ، وبنسبة عالية، تفوق 90%، رئيسا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. فكان بدون منازع رجل الجزائر، ورأسها المفكر، وروحها المخططة، ولسانها المعبر عن مواقفها داخليا وخارجيا، فلم تحظ الجزائر قبله بمكانة دولية جعلتها محل ثقة كل دول العالم من أقصاه إلى أقصاه. وكل ذلك كان نتيجة شمة واحدة من شمات الرجل: الصدق والإخلاص والظهور محليا أو خارجيا عن طبع وسليقة، دون أي تكلف كان، فكان ما يقوله ويفعله يخرج من القلب ليقع في القلب.

ومواقفه التاريخية الراسخة كثيرة، لا تعد ولا تحصى، منها مقولته الشهيرة: تأييدا للشعب الفلسطيني وتنديدا بالصهيونية والإمبريالية: ((نحن مع الثورة الفلسطينية ظالمة أو مظلومة))، ومن جهة نظر روحية عميقة قال في إحدى المناسبات: ((وهل السور والآيات القرآنية تؤكل خبزا...)).

ولئن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مواقف الرجل الشجاعة الراسخة التي لا تتزعزع مهما حاولت الظروف العصف بها والتأثير فيها. وإلى جانب الشجاعة والجرأة، امتاز القائد الراحل بالحزم وعدم الاتكال وعدم تأجيل عمل اليوم إلى الغد، فلقد كان يتابع كل القضايا الهامة الوطنية وغير الوطنية بنفسه، دون اللجوء إلى أي وسيط، بل سمعته مرة يقول: ((كان علي أن أتدخل شخصيا لتنظيف حافلات النقل في العاصمة..)).

ولعل أهم ميزة تميز بها الفقيد الراحل هواري بومدين، التواضع، فعلى الرغم من عمله الكبير ومكانته العظمى ((سيد الشعب))، فكان خادمه الأمين، الذي تفانى في خدمته مكرسا له أزهى وأجمل سنوات عمره القصير.

وفي حياته، وبعدها، خالفه بعض رفقاء السلاح، عن حق أو عن غير حق، وبعض أنصاره القدماء، كما عارضه آخرون، معارضة شديدة، أدت إلى محاولة اغتياله، ولكن نظراته الحادة القوية، كانت أقوى من محاول اغتياله، الذي هو حرسه الخاص، فأبطلت مفعول الرشاشة الأوتوماتيكية في يدع وارتبكت يده، فاستسلم بعد محاولته الفاشلة، منهارا معنويا وجسديا، ولم يزد ذلك القائد الراحل، سوى حزما وعزما على المضي في بناء المجتمع الجزائري المعاصر، والتي لا تزال الآثار والبصمات التي تركها بادية للعيان. ولا شاهد على ذلك سوى تلك الآثار العمرانية والصناعية والثقافية التي خلفها القائد الراحل هواري بومدين، والتي تمت في البلاد في عهده وبمبادرة، وتخطيط منه.

وخلاصة القول، في هذا الباب، إن حركة العلماء الجزائريين نحو تونس، قد تطورت عبر العصور، تطورا معقولا يتماشى والظروف السياسية والثقافية والاجتماعية التي مرت بها منطقة المغرب الكبير. فخلال المراحل الأربع التي حددناها لهذه الحركة، والتي حصرناها زمنيا، كما سبق، نلاحظ لا من حيث عدد العلماء الذين كانت لهم علاقة علمية و ثقافية بتونس، ولكن أيضا من حيث نوعيتهم، إن حركتهم عبارة عن طريق محدودب، يمكن تجسيده كالتالي:

القرن		عدد العلماء
		80
		70
		60
		50
		40
14/15م	19/20م	30
		20
9/13م	16/18م	10
6م	20م	

والاعوجاج الذي نلاحظه، في هذا الرسم البياني، أي الهبوط والصعود لأعدادهم في تونس، حسب تتبعنا لحركتهم نحو هذا البلد الشقيق، سواء كان الرسم على شكل مثلثين أو على شكل محدودب، شيء عادي للغاية، بالنظر للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي مر بها كلا البلدين، وذلك عكس ما حدث بالنسبة للمغرب الذي سنتابع حركة العلماء الجزائريين نحوه في كتابنا: ((العلماء الجزائريون في البلدان الإسلامية مشرقا ومغربا)). والذي سيصدر عما قريب.

فمن خلال الرسم البياني، الذي وضعناه، حسب تطور حركة العلماء الجزائريين نحوه تونس، تتضح جلية ست فترات هامة، لكل منها مميزاتها، وطابعها الخاص بها فالفترة الأولى، قبل أن ندخل في تحليل كمي و نوعي للموضوع، تمتد ما بين القرنين 6 / 9 الميلاديين، (1 / 3 هـ)، وهي فترة صدر الإسلام، ودخوله إلى بلدان المغرب الكبير، وطبيعي جدا، أن لا نجد خلالها أي عالم اتجه نحو تونس لسبب أو لآخر، وبالأحرى، وتدقيقا للفترة هذه، إن نهايتها قد تكون في نهاية الثلث الأول للقرن التاسع الميلادي، الثالث الهجري، أي بتواجد العالم الجزائري الملشوني إسحاق المتوفى (841م)، (226هـ)، في القيروان. وبانعدام تواجد أي عالم جزائري خلال هذه الفترة تفاعل حضاري واحتواء ثقافي لحضارة قديمة، وهي الحضارة المحلية البربرية، من طرف الحضارة العربية الإسلامية، بحيث لم تستطع الحضارة الأولى مقاومة الثانية، وذلك لضعف مقاومتها وعواملها الفعالة،

كاللغة والدين مثلا، الشيء الذي يسر عملية الاحتواء علما أنه ومهما بلغت عملية الاحتواء هذه من قوى و ضغط على الحضارة المحلية، مهما كان مكانها وزمانها، فإنها عملية جزئية، وليست كلية، بحيث يقتصر مفعولها على الكليات، وليس الجزئيات، لأن الإلمام، في عملية الاحتواء، أي ذوبان حضارة، وانصهارها في بوتقة حضارة أخرى بطريقة تجعل التمييز بينهما في كل مجالات الحياة من الأشياء الصعبة، في حد ذلته، وخاصة إذا تعلق الأمر بحضارة عريقة كالحضارة البربرية القديمة، مطلب من المطالب الصعبة، ولا يمكن أبدا إدراكه، بدليل، أن بعض جزئيات الحضارة البربرية القديمة رغم تفاعلها وتعاملها طيلة قرون مع الحضارة العربية الإسلامية، لا تزال قائمة راسخة تعبر في حد ذاتها عن تواجدها وكيانها الخاصين بها، ومن ثم فهي تعبر عن قيام حضارة راقية، كانت قائمة في الشمال الإفريقي، قبل أن يلتقي بالحضارة العربية الإسلامية.

ومما يسر وسهل وفتح الطريق واسعا أمام انتشار الحضارة العربية الإسلامية في شمال إفريقيا قديما، أن عملية التلقيح قد تمت في ظروف استثنائية، وبالأخص بطريقة لا مجال للعنف فيها، تبعا لمبدأ المسلمين الأوائل آنذاك ((لا إكراه في الدين)).

والحق إن هذا المبدأ وحده: ((لا إكراه في الحضارة)) وحده كفيل بأن جعل الحضارة الجديدة، وتفاعلاتها القوية، تنتشر بطريقة تلقائية بين أهل البلاد، وتجد طريقها إلى نفوس أهل الحل والعقد والعلماء، ثم، بواسطتهم، ومنهم إلى كافة طبقات المجتمع.

وقد انتشرت الحضارة العربية الإسلامية في شمال إفريقيا وثبتت أقدامها في المنطقة بواسطة عاملين حضاريين اثنين، هما: الدين أولا واللغة ثانية. فبالنسبة للعامل الأول، لم يجد الدين الإسلامي أمامه، في المنطقة، دينا قويا ليقف أمامه موقف الند للند، بل وجد دينا، الذي هو المسيحية، في وضعية لا يحسد عليها، موجود ظاهريا، غير مترسخ في نفوس أهل البلاد، وإذا عرفنا أن محاربة دين ما لا تكون إلا بواسطة مثله، وكذلك الشأن بالنسبة للغة، ندرك جوانب القوى للإسلام وهو يضع أقدامه في شمال إفريقيا.

أما بالنسبة للعامل الثاني، الذي هو اللغوي، فارتباطه بالدين أولا، ثم عدم وجود منافس له، بحيث لم تكن لشمال إفريقيا لغة بمعنى الكلمة، عدا اللهجة البربرية، أو اللغة اللاتينية، التي كانت محدودة الانتشار والاستعمال، مما جعل لغة العرب تنتشر تبعا لانتشار دينهم، إذا عرفنا أنه كان ولا يزال لزاما على كل فرد يعتنق الإسلام، أن يتعلم ولو قسطا زهيدا من لغته يمكنه من أداء واجباته الدينية، نقف بكل سهولة على الأسباب التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في شمال إفريقيا شيئا فشيئا إلى أن تم تعريبه نهائيا في القرن الثالث الهجري، التاسع ميلادي. وقد انكب أهل شمال إفريقيا، على دراسة العربية وعلومها بشغف كبير إلى أن أدركوا أسرارها، فتفوقوا في كثير من الأحيان، على أهلها من أجل طلب العلم أو التفقه في الدين. خرج كثير من الجزائريين متوجهين نحو المراكز الثقافية، في كل زمان ومكان، يبحثون عنها تارة في الأندلس، وتارة أخرى في المغرب، أو تونس، أو في المشرق العربي.

ولكن الأهم من هذا كله، أن الحضارة المحلية، سواء تعلق الأمر بتونس، أو بالمغرب، أو بالجزائر، بقيت صامدة مدة، تزيد على أربعة عشر قرنا من الزمن، ولم تضمحل نهائيا، وإلى حد الآن يستطيع المرء بكل سهولة أن يقف على بعض خصوصياتها ومعالمها بادية جلية للعيان، في كل شبر، على طول امتداد التراب الوطني.

ونحن نعيش عصر مفاهيم جديدة، و أساليب جديدة لطرح كل ما يمكن طرحه منها، وبطريقة عقلانية، لا مجال لها للمجاملة، أو السفسطة، أو المناورات السياسية، فمن السذاجة أن نتكلم عن كل شيء، يبدو لنا أولوية الأولويات، في عملية الإقلاع الحضاري والاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي.

فالانتماء شيء، حسا، وإدراكا، وعقلا، وعقلانية، والذوبان فيه والانهيار به إلى حد المغالاة شيء آخر، قد لا تقبله مستقبلا، لا العقول النيرة الجزائرية، ولكن أيضا حتى أخملها وأبسطها.

فليس من السهل تصور فرد جزائري ينمو ويتطور في محيط ثقافي غير محيطه الأصلي، يستطيع منافسة الفرد الأوروبي، أو الأمريكي، أو

الياباني إذا لم يكن واعيا تمام الوعي بأصالته، وبجذوره العميقة الضاربة أطنابها في تاريخه العميق، وان يشعر أنه خلال هذه الحقبات التاريخية الكثيرة التي مر بها أسلافه وأجداده، والتي كان بعضها له وبعضها الآخر عليه، كان له كيان مستقل، خاص به، بايجابياته وبسلبياته، ففي هذا الإطار، وليس في غيره، نما وتطور علماء الجزائر، خلال الحقبات التاريخية التي حددناها. والدليل على ذلك أنه كان يروق الكثير منهم، الذين تنقلوا غربا أو شرقا، أن يميزوا أنفسهم في سكان البلد المضيف، بتصدير أسمائهم الحقيقية بعبارة "جزائري"، ومنهم من عرف خارج وطنه نسبة إلى مسقط رأسه.، فيصدر اسمه بعبارة "البسكري"، أو "الشاوي" أو "الباتني" أو "المستغانمي" أو "البجائي" أو "التاهرتي" أو "الوهراني" أو "المسيلي" أو "الندرومي" أو "التلمساني"، وغيرها من الدلالات التي تثبت انتماءه ونسبته الجزائرية المحضة، وهي صفة قد ينفرد بها الجزائري، بالنسبة لغيره من سكان المغرب الكبير، فالتونسي مثلا خارج وطنه. يعرف "بالتونسي" فقط، وقلما يرمز إليه تحديدا لمنشئه ومسقط رأسه، وكذلك المغربي، أما الجزائريون، كما نلاحظ ذلك من تراجمهم وسيرهم الشخصية، فيصرون على التأكيد على أصلهم وفصلهم من خلال أسمائهم أولا، قبل أن يثبتوا ذلك بكفاءتهم العلمية ومقدرتهم الثقافية.

أما المرحلة الثانية التي تبدو في الرسم البياني السابق، والتي تمتد ما بين القرنين التاسع والثالث عشر الميلاديين (6 / 7 هـ)، فهي مرحلة وإن لم تكن هامة كثيرا بعدد علمائها في تونس، ولكنها من ناحية أخرى هامة، من حيث نوعية علمائها الذين وجدوا بتونس، مثل إسحاق المشلوني، والحسن ابن رشيق، الحسن ابن الزبيب، وابن النحوي وابن منداس وغيرهم.

وعموما فقد كان للانقلابات السياسية، وعدم الاستقرار الذي عاشته المنطقة، على عهد الأغالبة والعبيديين والزيانيين دور في تقهقر الأوضاع الثقافية والعلمية في المنطقة

وإذا مررنا إلى عهد الحفصيين بتونس، نلاحظ تغييرا ملحوظا في الميدانيين المذكورين، وهو ما يقودنا إلى التكلم، عن الحقبة الثالثة التي اظهرناها، في رسمنا البياني، السابق والتي تمتد كما هو واضح ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، (9/7 هـ) وهي ازهي

وأغنى فترة ثقافية وعلمية عاشتها الجزائر، وهي الأولى في تاريخها الثقافي، التي برزت من خلالها، لا بعدد علمائها الهائل، ولكن أيضا بعدد هام من الذين طارت شهرتهم وسبقتهم مغربا، ومشرقا بل حتى إفريقيا، وذلك شأن التلمساني عبد الكريم الميغلي(75)، ومن هؤلاء الذين تركوا بصماتهم واضحة في ميدان العلم والمعارف التي كانت متداولة في عصرهم: الشريف التلمساني وأحمد الغبريني، وابن الكماد، وأحمد المقري. عبد الرحمان الثعالبي، ومرزوق ابن الحفيد، وغيرهم.

أما المرحلة الرابعة، من حركة علماء الجزائر نحو تونس، والتي تبدو في رسمنا البياني فهي التي تمتد ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين (10 / 12 هـ)، وهي الفترة العثمانية بتونس والجزائر، والتي يلاحظ من خلالها بكل سهولة انطفاء الإشعاع الثقافي، وقلة العلماء والمثقفين في الجزائر ومن ثم كان تواجدهم نادرا، يكاد في بعض الأحيان أن ينعدم تماما، بحيث كما هو واضح من الإحصاء الذي قمنا به، إننا لم نستطع سوى تسجيل عالم واحد، في تونس خلال قرن كامل، بل عالم واحد لكل قرن: القرن 15 / 16م، والقرن 16 / 17 م، والقرن 18، (انظر الجدول الآتي).

أما المرحلة الخامسة والأخيرة، فيبدو من خلالها ان الحالة العلمية والثقافية للجزائر قد أخذت شيئا فشيئا في التحسن، ففيما بين القرنين التاسع عشر، وبالأخص نهايته، وبداية القرن الذي يليه والأسباب السياسية معروفة، شد كثير من الجزائريين رحالهم نحو تونس للتزود بالعلم والمعارف هنالك، وقد سمح لبعضهم الجو السياسي والثقافي الذي كان سائدا، لا بتبني قضية وطنهم ولكن أيضا تبني القضية التونسية ومساندتها قولا وفعلا ماديا، وأدبيا، ومن حيث عدد علماء هذه الفترة وتوعيتهم، فهذه الأخيرة تشبه كثيرا فترة القرن الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين التي مرت بنا.

علماء الجزائر في تونس
بين القرنين 9 و20 الميلاديين

الملشوني إسحاق	(- 226هـ) (- 841م)
رشيق - ابن الحسن	(385 - 463 هـ) (995 - 1071م)
الزبيب بن الحسن	(340 - 420 هـ) (951 - 1029م)
ابن النحوي يوسف	(433 - 51 3هـ) (1041 - 1119م)
ابن منداس محمد	(557 - 463 هـ) (1162 - 1245م)

- القرن 13 م -

الأصولي عبد الرحمان	(- 639 هـ) (-1294م)
التنسي إبراهيم	(-670 هـ) (-1282م)
الغماري أحمد بن عيسى	(-862 هـ) (- 1283م)
المنجلاني يعقوب	(- 690 هـ) (-1291 م)

القرن 13 / 14م

الغبريني أحمد (644 - 704هـ)
(1245 - 1304م)

- القرن 14م

الإمام بن عبد الرحمان (- 741 هـ)
(- 1340م)

الأمام بن عيسى (- 749هـ)
(- 1347م)

الشريف التلمساني (771 - 810 هـ)
(1310 - 1370م)

عصفور بن يحي (- 734 هـ)
(- 1334م)

الغبريني أحمد (- 772 هـ)
أبو القاسم (- 1380م)

الفخار- ابن- محمد (- 801هـ)
(- 1399م)

الكماد- ابن- إبراهيم (ق 8 هـ)
(ق 14م)

مرزوق- ابن- الحفيد (710 – 781هـ)
(1311 - 1379م)

المسيلي أحمد بن محمد (- 785هـ)
(- 1383م)

المقري محمد (- 759 هـ)
(- 1359م)

المليكشي محمد بن عمر (- 740 هـ)
(- 1339م)

الندرومي محمد بن عبد الله (- 749هـ)
(- 1348م)

النقاوسي أحمد أبو العباس (- 765 هـ)
(- 1364م)

- القرن 14 / 15 م -

الثعالبي عبد الرحمان (786 - 875 هـ)
(1384 - 1480م)

التلمساني يحي بن محمد (809 - 843 هـ)
(1341 - 1406 م)

الزواوي إبراهيم (796 - 857هـ)
(1394 - 1453م)

الصنهاجي خليل (766 - 826هـ)
(1365 - 1422م)

الصنهاجي سالم (777 - 873هـ)
(1375 - 1468م)

العجيسي يحي (777 - 862 هـ)
(1375 - 1458م)

القسنطيني قاسم (788 - 849هـ)
(1386 - 1445م)

مرزوق - ابن - الحفيد (766 - 842هـ)
(1364 - 1434م)

- القرن 15 م -

البسكري أحمد بن محمد (846 - 890هـ)
(1442 - 1494م)

البجاني حمزة (839 - 902هـ)
(1435 - 1496م)

الرصاع أبو عبد الله (- 894هـ)
(- 1489م)

الصنهاجي عثمان (- 825 هـ)
(- 1422م)

الطولقي إبراهيم (- 899 هـ)
(- 1494م)

العلمي يحي (- 888 هـ)
(- 1483م)

الغبريني عيسى (- 813 هـ)
(- 1410م)

القسنطيني أبو القاسم (- 847 هـ)
(- 1443م)

المشدالي محمد بن محمد (822 - 865 هـ)
(1417 - 1461 م)

المغراوي أحمد (- 820 هـ)
(- 1417م)

النقاوسي أبو الطيب (848 - 898هـ)
(1444 - 1491م)

- القرن 15 / 16م-

البجائي منصور (865 - 930هـ)
(1461 - 1524م)

- القرن 16 م -

الفكون قاسم بن يحي (- 965هـ)
(- 1558م)

- القرن 16 / 17 م

عاشور بن عيسى القسنطيني (984 - 1074 هـ)
(1567 - 1664 م)

- القرن 17 م -

التعالبي عيسى (1020-1080 هـ)
(1611 - 1669 م)

القشي النقاوسي (-1020هـ)
(- 1611م)

قدورة السعيد بن ابراهيم (- 1066هـ)
(- 1656م)

القرن 18م

عزوز بن مصطفى (1282هـ - 1768م)

- القرن 18/19 -

الأفضلي يحي بن صالح (1120 - 1223 هـ)
(1708 - 1808م)

التيجاني أحمد (1150 - 1230 هـ)
(1737 - 1815م)

الرحموني محمد الصالح (1152 - 1242 هـ)
(1739 - 1826م)

- القرن 19م-

الإغريسي أحمد (1252 - 1307هـ)
(1836 - 1889م)

الإغريسي محمد عبد القادر (ق 13 هـ)
(ق 19م)

الراشدي الحبيب بن محمد (- 1285 هـ)
(- 1868 م)

الدراجي عبد الله بن غانم (- 1296هـ)
(- 1879م)

الخيراني قاسم (- 1307 هـ)
(- 1830م)

الحاج بن محمد الصغير (- 1271هـ)
(- 1856م)

الجزائري محمد بن عيسى(1243 - 1310هـ)
(1828 - 1892م)

الشاوش - ابن - مصطفى (- 1252 هـ)
(- 1836م)

الشلفي العربي (ق 13هـ)
(ق 19م)

العباسي أحمد (- 1215هـ)
(- 1836م)

الطولقي الحسين (1246 - 1309 هـ)
(1830 - 1891م)

- القرن 19 / 20م-

أطفيش إبراهيم (1305 - 1385هـ)
(1888 - 1965م)

باديس - ابن- عبد الحميد (1308 - 1359هـ)
(1889 - 1940م)

بولحبال حسن (1315 - ؟ هـ)
(1897 - ؟ م)

التبسي العربي (1312 - 1276هـ)
(1895 - 1957م)

التهامي شطة (- 1333هـ)
(- 1915م)

الخنقي عاشور (1264 - 1347هـ)
(1847 - 1929م)

الزاهري محمد السعيد (1318 - 1376هـ)
(1899 - 1956م)

عزوز بن محمد (1270 - 1334هـ)
(1854 - 1915م)

السوفي إبراهيم (1307 - 1353هـ)
(1888 - 1934م)

سماية - ابن - عبد الحليم (1283 - 1351هـ)
(1866 - 1933م)

مامي إسماعيل	(1308 - 1376 هـ) (1889 - 1956م)
مهنا - ابن - صالح	(1271 - 1328 هـ) (1854 - 1910م)
الميلي مبارك	(1316 - 1364هـ) (1898 - 1945م)
اليقظان - أبو - إبراهيم	(1306 - 1393هـ) (1888 - 1973 م)

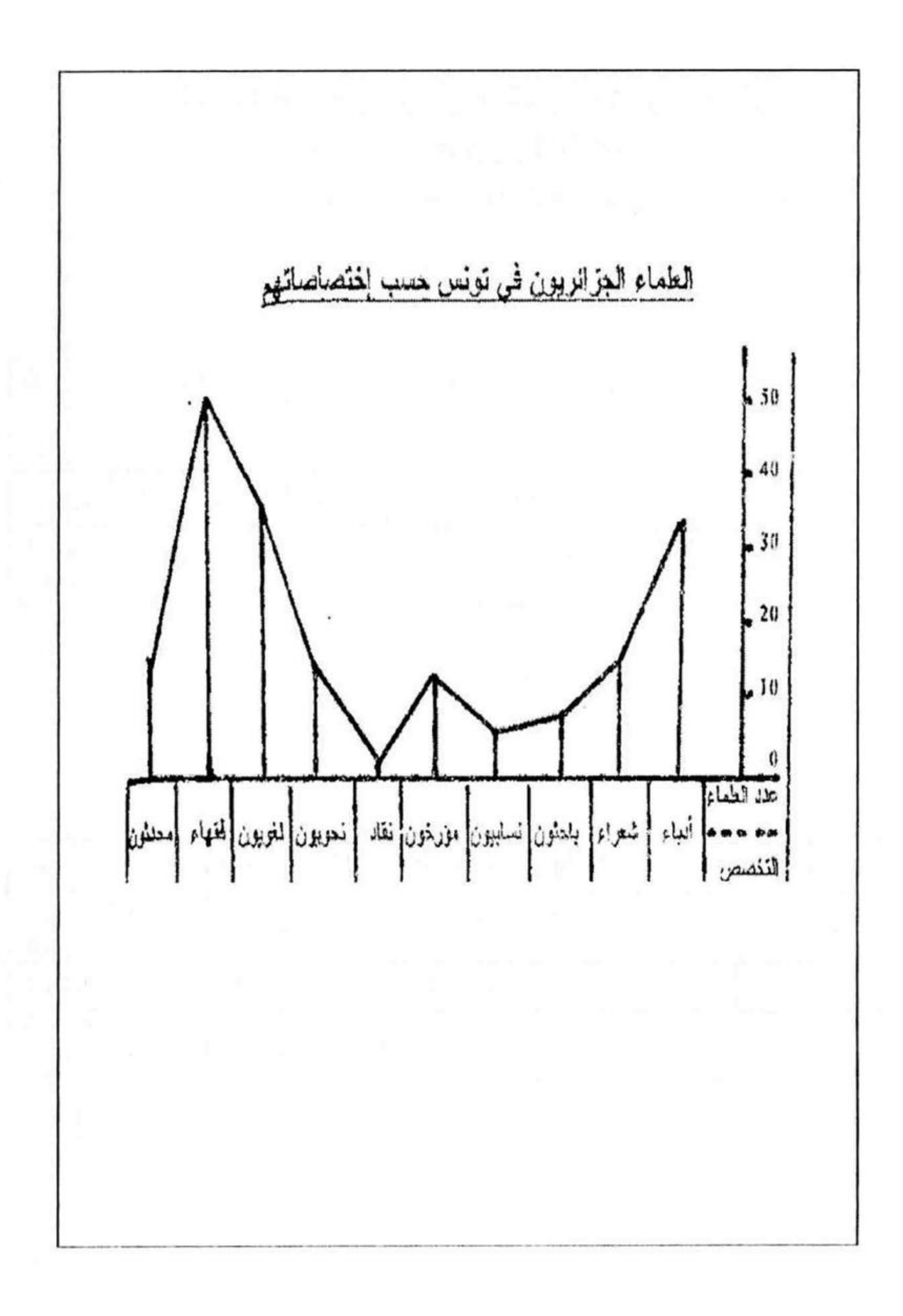
- القرن 20م -

الزهراء الهادي	(1320 - 1383هـ) (1902 - 1969م)
رمضان حمود	(1324 - 1347هـ) (1906 - 1929م)
(الصالح بن يحي	(- 1367هـ) (- 1948م)
مفدي زكريا	(1331 - 1396هـ) (1912 – 1976م)
هواري بومدين	(1351 - 1399هـ) (1931 - 1978م)

العلماء الجزائريون في تونس فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3 / 14هـ)، (9 / 20 م)

القرن	9/م	11/10م	12/11م	13/12م	13م	14/13م	14م	15/14م	15م
عدد العلماء	1	1	1	1	4	1	13	8	11
النسبة%	1,23	1,23	1,23	1,23	4,93	1,23	16,04	9,87	13,58
المجموع العام	81								

القرن	16/15م	16م	17/16م	17م	18م	19/18م	19م	20/19م	20م
عدد العلماء	1	1	1	3	1	3	11	14	5
النسبة%	1,23	1,23	1,23	3,70	1,23	3,70	13,58	17,28	6,17
المجموع العام	81								


العلماء الجزائريون في تونس حسب إختصاصاتهم
50
40
30
20
10
0
عدد العلماء
التخصص
أدباء
شعراء
باحثون
نسابيون
مؤرخون
نقاد
نحويون
لغويون
فقهاء
محدثون

هجرة العلماء الجزائريين نحو تونس
(ق 3-14 ه) ، (ق 9-20 م)

قائمة مرتبة حسب حروف المنجد   أديب شاعر باحث نسابة مؤرخ نقاد نحوي لغوي فقيه محدث مهتم بعدة علوم مصلح وطني وحدوي،

الأصولي عبد الرحمان + +
(...-639هـ)،(-1294م)

أطفيش إبراهيم + + +
(1305-1385هـ)،(1888-1965م)

الإغريسي أحمد + +
(1252-1307هـ)،(1836-1889م)

الإغريسي محمد بن عبد القادر +
(ق 13هـ) ، (ق 19م)

الأفضلي يحي بن صالح +
(1120-1223هـ)،(1708-1808م)

الإمام بن عبد الرحمان + +
(...-741هـ)،(...-1340م)

الإمام بن عيسى +
(...-749هـ)،(....-1347م)

باديس بن عبد الحميد + + + + +
(1308-1359هـ)،(1889-1940م)

البجائي حمزة + + +
(839-902هـ)،(1435-1496م)

البجائي منصور + + +
(865-930هـ)،(1461-1524م)

البسكري أحمد بن محمد + +
(846-890هـ)،(1442-1494م)

بولحبال (حسن) + +
(1315- ؟)،(1897- ؟)

بومدين (هواري) +
(1351-1399هـ)،(1932-1978م)

التبسي العربي + + +
(1312-1376هـ)،(1895-1957م)

التجاني أحمد + +
(1150-1230هـ)،(1737-1815م)

التلمساني يحي بن محمد + + + + +
(809-843هـ)،(1341-1406م)

التنسي إبراهيم بن يخلف +
(...-670هـ)،(....-1272م)

التهامي شطة + + +
(....-1333هـ)،(....-1915م)

الثعالبي عبد الرحمان + + +
(786-875هـ)،(1384-1480م)

الثعالبي عيسى + +
(1020-1080هـ)،(1611-1669م)

الجزائري محمد بن عيسى + +
(1243-1310هـ)،(1828-1892م)

الحاج بن محمد الصغير
(....-1271هـ)،(....-1856م)

الخنقي عاشور + +
(1264-1347هـ)،(1847-1929م)

الخيراني قاسم + + + +
(....-1307هـ)،(....-1890م)

الدراجي عبد الله بن غانم + + +
(....-1296هـ)،(....-1879م)

الراشدي الحبيب بن محمد + +
(....-1285هـ)،(....-1868م)

الرحموني محمد الصالح + + +
(1153-1242هـ)،(1739-1826م)

رشيق إبن الحسن + + + + +
(358-436هـ)،(995-1071م)

الرصاع أبو عبد الله + + + +
(...-894هـ)،(....1489م)

رمضان حمود + +
(1324-1347هـ)،(1906-1929م)

الزاهري محمد السعيد + + + +
(1318-1376هـ)،(1899-1956م)

الزاهري محمد الهادي + + +
(1320-1383هـ)،(1902-1963م)

الزبيب بن الحسن + + + +
(340-420هـ)،(951-1029م)

الزواوي إبراهيم + +
(796-857هـ)،(1394-1453م)

بن سامية عبد الحليم + +
(1283-1351هـ)،(1866-1933م)

السوفي إبراهيم

(1307-1353هـ)، (1888-1934م)

الشريف التلمساني

(710-771هـ)، (1310-1370م)

الشافي العربي

(ق 13 هـ)، (ق 19 م)

الصالح بن يحي

(....-1367هـ)، (....-1948م)

الصنهاجي خليل

(766-826هـ)، (1365-1422م)

الصنهاجي سالم

(777-873هـ)، (1375-1468م)

الصنهاجي عثمان

(...-825هـ)، (....-1422م)

الطولقي إبراهيم

(...-899هـ)، (....-1494م)

الطولقي الحسين

(1246-1309هـ)، (1830-1891م)

العباسي أحمد

(....-1215هـ)، (....-1836م)

العبدوسي يحي

(777-852هـ)، (1375-1458م)

عزوز بن محمد

(1270-1334هـ)، (1854-1915م)

عزوز بن مصطفى

(...-1282هـ)، (....1768م)

عصفور بن يحي

(...-734هـ)، (....1334م)

العلمي يحي

(...-888هـ)، (....-1483م)

الغبريني أحمد

(644-704هـ)، (1246-1304م)

الغبريني أحمد أبو القاسم

(....-772هـ)، (....-1380م)

الغبريني عيسى

(...-813هـ)، (....-1410م)

الغماري أحمد بن عيسى

(...-862هـ)، (....-1483م)

إبن الفخار

(...-801هـ)، (....-1399م)

الفكون قاسم بن يحي (...-965هـ)،(....-1558م)								+	+		+
قدورة سعيد بن إبراهيم (....-1066هـ)،(....-1656م)								+	+		
عاشور بن عيسى القسنطيني (984-1074هـ)،(1567-1664م)								+	+		
القسنطيني قاسم (788-849هـ)،(1386-1446م)								+	+	+	
القسنطيني أبو القاسم (...-847هـ)،(....-1443م)								+	+		
القسنطيني مصطفى بن الشاوش	+						+	+	+		
(....-1252هـ)،(....-1836م)											
القشي النقاوسي (....-1020هـ)،(....-1611م)								+	+		
الكماد إبن إبراهيم (ق 8 هـ) ، (ق 14 م)		+									
مامي إسماعيل (1308-1376هـ)،(1889-1956م)		+									
بن مرزوق إبن محمد (710-781هـ)،(1311-1379م)		+						+	+		
مرزوق بن الحفيد (766-842هـ)،(1364-1434م)			+				+	+	+		
المسيلي أحمد بن محمد (...-785هـ)،(....-1383م)									+		
المشدالي محمد بن محمد (822-865هـ)،(1417-1461م)								+	+	+	
المغراوي أحمد (...-820هـ)،(....-1417م)								+	+		
مفدي زكريا (1331-1396هـ)،(1912-1976م)		+	+								-
المقري محمد (...-759هـ)،(....-1359م)		+		+					+		
الملشوني إسحاق (...-226هـ)،(...-841م)					+				+		+
المليكشي محمد بن عمر (...-740هـ)،(....-1339م)		+	+								
المنجلاتي يعقوب (...-690هـ)،(....-1291م)								+	+		
منداس إبن محمد (557-643هـ)،(1162-1245م)		+							+	+	

مهنا إبن صالح
(1271-1328هـ)،(1854-1910م)
المبلي مبارك
(1310-1364هـ)،(1898-1945م)
النحوي إبن يوسف
(433-513هـ)،(1041-1119م)
الندرومي محمد بن عبد الله
(...-749هـ)،(....-1348م)
النقاوسي أحمد أبو العباس
(...-765هـ)،(....-1364م)
النقاوسي أبو الطيب
(848-898هـ)،(1444-1491م)
اليقظان أبو إبراهيم
(1306-1393هـ)،(1888-1973م)

المنجلاتي يعقوب (690هـ)، (1291م) من أهل بجاية.
(11)- أنظر عنه مثلا:
الحفناوي أبو القاسم: تعريف الخلف، ج / 1، 21.
محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، مصر 1349ه.
(12)- له عنوان الدراية في من عرف من علماء المائة السابعة في بجاية، الجزائر 1328هـ، 1910م.
(13)- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 22.
(14)- أنظر عنه مثلا:
ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر 1907، ص 123 أبو القاسم الحفناوي: المصدر السابق، ج / 2 / ص152.
(15)- أنظر عنها مثلا:
المقري: نفخ الطيب، 8 أجزاء، بيروت 1968، ج / 5 / ص 275.
ابن مريم: المصدر السابق، ص 123، أنظر كذلك أبو القاسم الحفناوي وعبد الرحمان الجيلالي، السابقين الذكر.
(16)- أنظر مثلا:
الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس، ب، ت، ص 105.
محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 234.
الحفناوي أبو القاسم: المصدر السابق، ج /1/ص106.
ابن مريم: المصدر السابق، ص 164.
(17)- أنظر عنه مثلا:
السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 12 جزئا، مصر 1353 / 1355 /. و.ج / 7، ص 50.
الكتاني: فهرس الفهارس، جزءان، فاس، 1347. ه. ج / 1، ص 294. ابن مريم: المصدر السابق، ص 201.
عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج / 2 / ص 210.
(18)- أنظر عنه مثلا: أحمد المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج / 5، ص 203.
محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 232.
ابن مريم: المصدر السابق، ص 154 والحفناوي أبو القاسم، ج / 2 / ص 493.
(19)- أنظر عنه مثلا:
الحفناوي أبو القاسم: المصدر السابق، ج / 1، ص 172.
محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 218.
أحمد المقري: المصدر السابق، ج / 6، ص 240.
(20)- عن عادل نويهض: المرجع السابق، ص 318.
(21)- وانظر عنه الحفناوي: ج1، ص67، الجيلالي عبد الرحمان: ج / 2، ص 280، السخاوي:ج / 4، ص 152.
محمد بن محمد مخلوف: ص 265، وشكيب أرسلان: المرجع السابق، ص165، وغير ذلك كثير.
(22)- خلال نفس الفترة الزمنية وجد بتونس كثير من علماء الجزائر، اختلفوا تأثيرا.
(23)- وتأثيرا في البيئة العلمية والثقافية يمكن ذكر البعض منهم: عصفور بن يحي المتوفى (734هـ)، (1334)، والغبريني أحمد أبو القاسم المتوفى سنة (772 هـ)، 1380م)، وشقيقه أبو سعيد المتوفى (775هـ)، (1373م)، وابن الفخار محمد المتوفى (801هـ)، (1399م)، وابن الكماد إبراهيم (ق8هـ)، (ق 14م)، والمسيلي أحمد بن محمد المتوفى (785هـ)، (1383م)، الندرومي محمد بن عبد الله المتوفى (749هـ)، (1348م)، والنقاوسي أحمد أبو العباس المتوفى

(765هـ)، (1364م)، والتلمساني يحي بن محمد (809 - 843 هـ)، (1341 - 1406م)، والزواوي إبراهيم (796 - 857 هـ)، (1394 - 1453 م)، والصنهاجي خليل (766 - 826 هـ)، (1365 - 1422م)، والصنهاجي يحي سالم (777 - 873 هـ)، (1375 - 1468م)، والعجيسي يحي (777 - 862 هـ)، (1375 - 1458م)، والقسنطيني قاسم (788 - 849هـ)، (1386 - 1445م)، والبجائي حمزة (839 - 902 هـ)، (1435 - 1496م)، والصنهاجي عثمان المتوفى (825هـ)، (1422م).

(24) - أنظر عنه مثلا:

شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص 689.

ابن مريم: المصدر السابق، ص 283.

السخاوي: المصدر السابق، ج / 8، ص 287.

محمد بن محمد مخلوف: ص 259، وغيرها كثير.

(25) - انظر عنه:

عادل نويهض: المرجع السابق، ص 205.

السخاوي: المصدر السابق: ج / 1، ص 169.

(26) - أنظر عنه:

محمد بن محمد مخلوف: المصدر الأسبق، ص 243.

شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص 611.

عادل نويهض: المرجع السابق، ص 250.

(27) - أنظر عنه:

السخاوي المصدر الأسبق، ج / 6، ص 182.

شكيب أرسلان: المرجع الأسبق، ص 613.

الحفناوي أبو القاسم: المصدر السابق، ج / 2 / ص 322.

(28) - من علماء الجزائر، الذين عاشوا خلال القرن الخامس عشر ميلادي، التاسع هجري، والذين انتقلوا إلى تونس طالبا للعلم والمعارف، نذكر: العلمي يحي المتوفى (888هـ)، (1483)، المشدالي محمد بن محمد (822 -865هـ)، (1417 - 1461م)، المغراوي أحمد المتوفى (820هـ)، (1417م)، البجائي منصور (865 -930هـ)، (1461 -1524)، النقاوسي أبو الطيب (848 - 898هـ)، (1444 - 1491م).

(29) - أنظر عنه مثلا:

محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ج/ 1، ص 311.

الحفناوي أبو القاسم: المصدر السابق، ج / 1، ص 77.

ابن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكراشية، تحقيق محمد عبد الكريم، الجزائر.

عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، 15 جزء، دمشق، ب . ت. ج/ 8، ص 33.

رحلة العياشي، فاس 1316 هـ، ج / 2، ص 126.

(30)- من أسرة عبد الرحمان الثعالبي، عالم الجزائر الشهير، ولكن شهرة عيسى وعبد الرحمان ليس بينهما مقارنة سوى فبما يخص شبهما.

(31) – أنظر عنه:

* ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب، تيطوان 1950، ج/1، ص792.

* محد بن محمد مخلوف: المصدر السابق 792.
* عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الجزائر 1986.

(32) - أنظر عنه: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 255.

(33) - أنظر عنه:
* العياشي: المصدر السابق، ج/2، ص 382.
* محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 310.

(34) - أنظر عنه:
* الحفناوي أبو القاسم: المصدر السابق، ج/1 ص62.
* محمد بن محمد مخلوف: المصدر نفسه، ص62.
* ابن ميمون: المصدر السابق، ص73.

(35) - أنظر عنه: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 232.

(36) – المرجع نفسه: ص 146.

(37) - المرجع نفسه: ص22.

(38) – أنظر عنه:
* محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 413.
* الحفناوي أبو القاسم: المصدر السابق، ج/1، ص 528.
* عمر رضا كحالة: المصدر السابق ج/11، ص 104.
* عادل نويهض: المرجع السابق، ص112.

(39) - أنظر عنه: عمر رضا كحالة: المصدر السابق، ج/8، ص 119، و كذلك ع. نويهض: ص 139.

(40) – راجع: عمر رضا كحالة: المصدر نفسه، ج/4، ص 34، وكذلك ع. نويهض: المرجع نفسه، ص 205.

(41) - عادل نويهض: المرجع نفسه، ص 189.

(42) - ومن هؤلاء حسب تاريخ وفاتهم: مصطفى بن الشاوش القسنطيني المتوفى – 1252هـ، 1836م، أحمد بن سعيد العباسي، المعروف باب العباس المتوفى – 1225 هـ - 1836م، الراشدي الحبيب بن محمد، المتوفى – 1285هـ - 1868م، الاغريسي أحمد بن محمد بن عبد القادر، المتوفى 1252- 1307هـ، 1836 – 1889م.

(43) – ومن هؤلاء الدراجي عبد الله بن غانم، المتوفى – 1296هـ - 1879م، والإغريسي ابن عبد القادر ق 13 هـ- ق 19م.

(44) – أنظر عن ذلك مقالتي: تطور الإصلاح في الجنوب الجزائري، مجلة الثقافة، الجزائر ع 100.

(45) – عمار هلال: تطور الإصلاح في الجنوب الجزائري: المرجع السابق.

(46) – عمار هلال: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، الجزائر، 1986، ص18.

(47) – عمار هلال: تطور الإصلاح...

(48) – سركيس: معجم المطبوعات، جزءان، 1928، وعمار طالبي: ابن باديس، حياته وآثاره...، اعمال ملتقى الفكر الإسلامي، عدد1971/7، الجزائر، - ملتقى قسنطينة.

(49) - أنظر عنه ما سبق من مراجع.

(50) - أنظر عنه ما سبق من مراجع.

(51) - فهرس الكتب العربية، 18 أجزاء، مصر 1342 / 1361هـ، ج / 3، ص 382، وكذلك عمر رضا كحالة: المصدر السابق: ج / 5، ص 51.

(52) - أنظر عنه مثلا:
محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، ج / 1، ص 106.
رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الأمام، ج / 1، ص 871.
عمار طالبي: حياة وآثار ابن باديس، ج / 1، ص 28.
(53)- محمد علي دبوز: المرجع نفسه، ج / 2، ص 48.
عمار طالبي: المرجع نفسه.
أحمد توفيق المدني: مذكرات، ج / 2، ص 11.
عمر رضا كحالة: المصدر السابق، ج / 5، ص 105.
(54) - محمد الصالح الجابري: المرجع السابق، ص 36.
(55) - من اهمهم البشير الإبراهيمي الذي عاد من المشرق العربي، و محمد خير الذين والمدني اللذين عادوا من تونس خلال نفس الفترة.
(56) - أنظر عن ذلك: بومالة مختار وشعيب مسعود: ابن باديس ما كتبه وما كتب عنه، محاولة بيبيليوغرافية هامة، قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعية، 1988.
(57) - وثائق ارشيف ما وراء البحار: اكس ان بروفانس: هـ 11.
أنظر عن ذلك مثلا:
محمد الصالح الجابري: المرجع السابق، ص 33 / 93.
الزركلي: الأعلام، ج / 4، ص 60.
بسام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، بيروت 1983، ص 119.
فهمي سعيد: حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في قضية الجزائر، بيروت 1983.
الميلي محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر.
(58) - أنظر عنه:
محمد علي دبور: المرجع السابق، ج / 3، ص 259.
توفيق المدني: حياة كفاح، ج / 2، ص 7 / 10.
عمر رضا كحالة: المصدر الأسبق، ج / 8، ص 175.
محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، ج / 2، ص 225.
(59) - اسمه الكامل: العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي، أبو القاسم.
(60) - أنظر عنه:
دبوز: المرجع الأسبق، ج / 1، ص 37 و ج / 2، ص 15.
مجلة الشهاب: ج / 10، م / 5، نوفمبر 1929.
مجلة الشباب: عدد 12، أكتوبر 1971.
عادل نويهض: المرجع السابق، ص 61.
حفناوي زاغر: الإمام الشيخ العربي التبسي: مجلة الثقافة /7 8 / 1986، عدد 94، ص 123 139.
(61) - عادل نويهض / المرجع نفسه، ص 61.
(62) - السخاوي: المصدر السابق، ج / 8، ص 288.
(63)- عمار هلال: تطور حركة الإصلاح بالجنوب الجزائري، مجلة الثقافة، المرجع السابق.
(64) - الكاملي عبد الله بن محمد: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، قسنطينة 1966.
(65) - محمد الصالح الجابري: المرجع السابق، ص 38.
(66)- أنظر عنه:

محمد الصالح الجابري: المرجع السابق، ص 38.
عادل نويهض: المرجع السابق، ص 19.
(67) - أنظر عنه مثلا:
فليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، 4 أجزاء، بيروت 1913 / 1933.
محمد علي دبوز: أعلام إلا صلاح في الجزائر> ج / 1، ص 213والجزء الثاني، ص 227.
محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر، ج / 1، ص 109، أنظر عنه كذلك مجلة الأصالة، والشهاب، عدد 115، أكتوبر 1921، ومحمد ناصر: المقالة الصحفية، وغيرها كثير.
(68)- من العلماء الجزائريين الذين عاشوا في نفس الفترة، و الذين كانت لهم علاقة ثقافية وعلمية بتونس، يمكن ذكر: السوفي إبراهيم (1307 - 1353هـ)، (1888م - 1934م)، وحسن أبو لحبال، المولود (1315هـ)، (1897م)، ومامي إسماعيل (1308 - 1376هـ)، (1889 - 1956م)، والزاهري محمد السعيد (1318 - 1376 هـ)، (1899 - 1956م) .
(69)- أنظر عنه:
الهادي السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، جزءان، تونس 1926 / 1927 / ج / 1، ص 70.
محمد ناصر: المرجع السابق، ج / 2، ص 227، ومجلة الثقافة، عدد 24، والشهاب، ج / 12، مجلد 5، وعادل نويهض، المرجع السابق، ص 153.
(70) - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج / 1، ص 380 و ج / 2، ص 38، وكذلك المدني: المرجع السابق، ج / 1، ص 156، وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 194.
(71)- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 157.
(72) - أنظر فيما سيق إثبات المصدر.
(73)-عادل نويهض: المرجع السابق، ص 309.
(74) - وهو من الذين ظلمهم وقهرهم المهتمون ((بالتاريخ))، لا لسبب، ولكن لأنه أصلا من جهة معينة...، ما يقال عن مفدي زكريا يقال عن كثير من معاصريه.
(75)- أنظر عنه، عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا السمراء، الجزائر1986.

الفصل الثالث

العلماء الجزائريون في المغرب

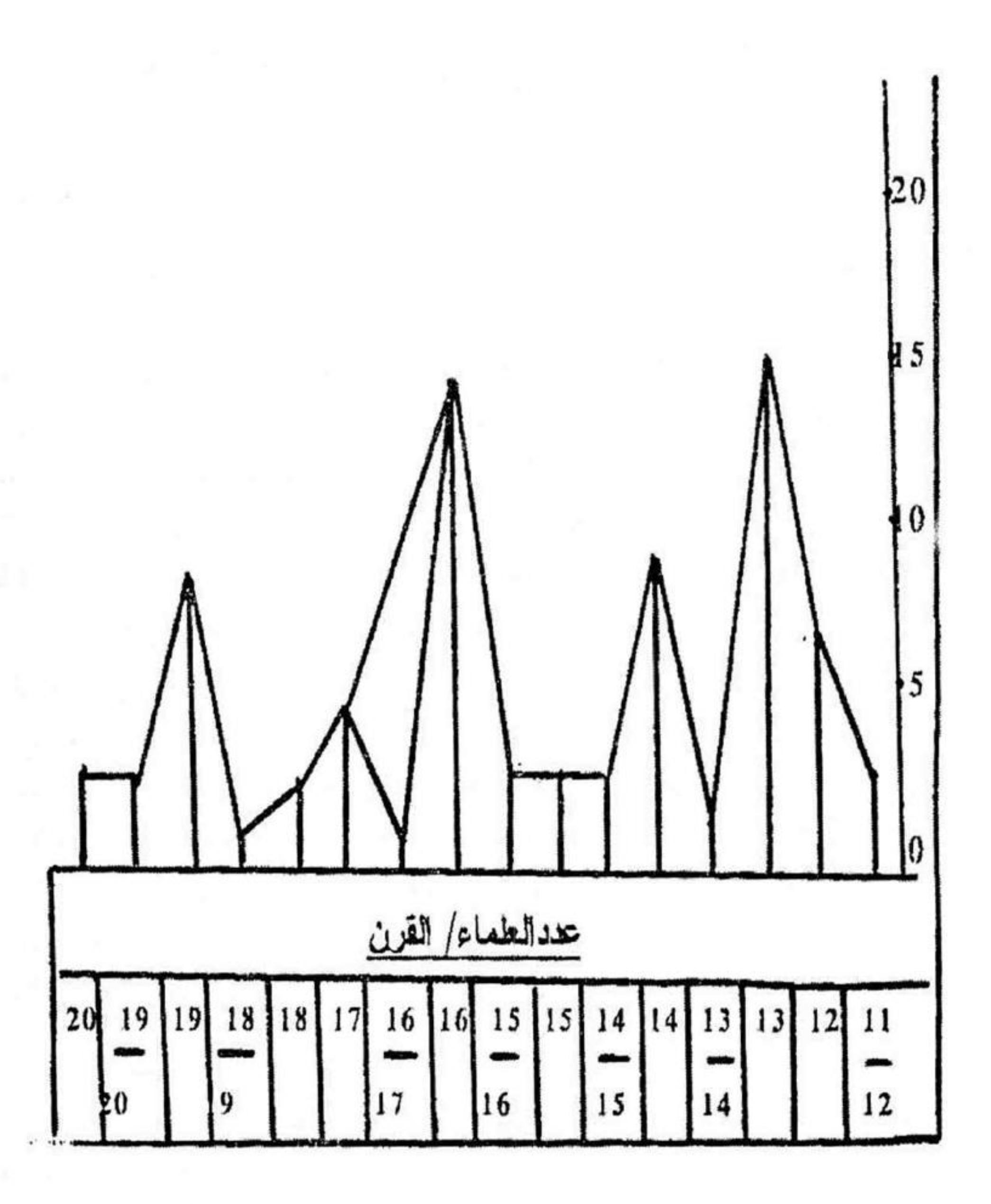
الفصل الثالث

العلماء الجزائريون في المغرب الأقصى

2 – المغرب

قد تختلف حركة العلماء الجزائريين نحو المغرب، عن مثيلتها نحو تونس زمنيا، فمن حيث العامل الزمني، فبينما نجد في تونس أولى آثار العلماء الجزائريين في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، الثالث الهجري، ففي المغرب لا يكاد المرء يعثر على أي أثر للعلماء الجزائريين هناك حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، الخامس الهجري. وللتفاوت الزمني هذا، بين تونس والمغرب، بالنسبة لحركة العلماء الجزائريين نحوهما، أسباب موضوعية، سياسية، وعلمية منها أن القيروان(1) في تونس، كمركز علمي، وعاصمة سياسية، أقدم من فاس(2) بما يزيد على ثلاثة قرون، بحيث تأسست الأولى في الثلث الأخير من القرن السابع الميلادي، بينما لم تشتهر الثانية إلا في القرن العاشر الميلادي. وإذا أضفنا إلى القيروان، وبخاصة في عهد الأغالبة (800 - 909م)، الذي كان لهم اهتمام كبير بالعلم والعلماء، فشجعوا طلبة العلم بشكل خاص، وقربوا منهم العلماء، فقصدوهم ومنحوهم، وجالسوهم، فتقوى ساعدهم، تحصنت مكانتهم بهم، لما كان العلماء يبنونه من دعاية لصالحهم تبرز خصالهم وأخلاقهم وعدلهم بين الناس.

وما يجب التأكيد عليه هنا، هو أنه خلافا لتونس، فيما يخص حركة العلماء الجزائريين، نلاحظ انكسارا كبيرا للخط التوجهي لعلمائنا، بالنسبة للمغرب، بينما نلاحظ في نفس الخط اعتدالا وتقويما فيما يخص تونس، الشيء الذي جعل مراحل وفترات حركة العلماء الجزائريين، واضحة وموجزة، مقارنة بالمغرب. ولعل متابعتنا للموضوع قد تجعلنا نقف على بعض أسباب ذلك. ومهما يكن، ولكي تتضح لدينا الرؤية، فيما يخص حركة العلماء الجزائريين نحو المغرب، فالرسم البياني التالي يفرض نفسه كقاعدة أساسية لتتبع الموضوع بكل وضوح.


20
15
10
5
0
عدد العلماء/ القرن
20
19 — 20
19
18 — 9
18
17
16 — 17
16
15 — 16
15
14 — 15
14
13 — 14
13
12
11 — 12

ومن خلال ما سبق يمكن تحديد مراحل حركة العلماء الجزائريين نحو المغرب، في الفترة الممتدة ما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين، كما يلي:(3)

- **المرحلة الأولى:** وتمتد ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الخامس والسادس الهجريين.
- **المرحلة الثانية:** وتمتد ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، السادس، والسابع الهجريين.
- **المرحلة الثالثة:** وتنحصر في القرن (14م)، (8هـ).
- **المرحلة الرابعة:** وتمتد ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، الثامن، والتاسع الهجريين.
- **المرحلة الخامسة:** وتنحصر في القرن (16م)، (10هـ)،
- **المرحلة السادسة:** وتمتد ما بين القرنين (18 / 17م)، (12 / 11هـ)
- **المرحلة السابعة:** وتنحصر في القرن (19م)، (13هـ).
- **المرحلة الثامنة:** وتمتد ما بين القرين (20 / 19م)، (14/ 13هـ)

ولكل مرحلة من المراحل مميزاتها وخصوصياتها، لا من حيث العامل الزمني فحسب، ولكن أيضا من حيث الظروف السياسية التي سادت القطرين الشقيقين، والتي لها علاقة بالأوضاع: الأمنية والنفسية والثقافية العامة. وفي ضوء هذه المعطيات يمكن دراسة وتحديد حركة العلماء الجزائريين نحو المغرب، في الفترة التي سبق ذكرها ونوعها، كما ونوعا.

2 - 1: المرحلة الأولى (ق 12 / 11م)، (6 / 5 هـ)

وتقع هذه المرحلة، كما هو واضح بين عهدين سياسيين هامين، لا بالنسبة لتاريخ المغرب وحده، ولكن أيضا بالنسبة لكافة الأقطار المغاربية الأخرى، وهما عهدا المرابطي(4)، والموحدين(5) واهم ما تميزت به هذه الفترة، هو تفوق العنصر المحلي البربري، وإدراكه لذاته، الشيء الذي جعله يثبتها إثباتا قاطعا على الساحة العسكرية والسياسية، ويتحكم في زمام الأمور لمدة فاقت الخمسة قرون. ولئن نجح المرابطون والموحدون، ومن بعدهم المرينيون، في عدة مشاريع حضارية وعمرانية هامة، فإنهم أخفقوا في توحيد القبائل البربرية

وجمع شتاتها، الشيء الذي كانت له انعكاسات خطيرة على الأوضاع في المغرب، وفتح الباب واسعا أمام تنافس حاد وتطاحن كبير، بين البربر أنفسهم، أهل البلاد الشرعيين، من جهة، كما كان ذلك سببا هاما في إبعادهم نهائيا عن الحكم لصالح جهات أخرى، ومهما يكن، فالذي يهمنا هنا، هو أنه رغم الأحداث الجسام التي عاشتها منطقة المغرب الكبير خلال هذه الفترة فالمتتبع للحركة العلمية والثقافية في المنطقة، يقف على النواة الأولى لتواصل ثقافي وعلمي بين الجزائر والمغرب، امتدت جذوره عبر عشر قرون كاملة، وما ترتب عنها من التقاء بشري واجتماعي وثقافي، كان من نتائجها الهامة، محو الفوارق المصطنعة سياسيا وجغرافيا.

ومن أوائل علماء الجزائر، الذين كان لهم سبق الاتصال العلمي بفاس، العاصمة العلمية والثقافية للمغرب آنذاك، العالم الجزائري المولد النشأة، ابن النحوي يوسف بن محمد بن يوسف، التلمساني، أبو الفضل(6)، المعروف في الأوساط العلمية بابن النحوي، (433 - 512هـ)، (1041 - 1119م)، له بعض الشعر، نحوي عارف بعلوم اللغة العربية، وكبار فقهاء المالكية في عصره، أصله من توزر بتونس، دخل سجلماسة، وأقام مدة في فاس، حيث اتصل بعلمائها، فأخذ وأعطى، ثم عاد إلى الجزائر، حيث كانت قلعة بني حماد في أوج ازدهارها العلمي والثقافي، فاختارها كمقر لسكناه وبقي بها إلى أن توفي . قال عنه أحد معاصريه: (كان أبو الفضل ببلادنا- يقصد القلعة - كالغزالي في العراق علما وعملا ومنذ الفترة الزمنية هذه، (نهاية القرن 11م وبداية القرن 12م)، جلبت فاس إليها أنار طلبة العلم الجزائريين، فرحل إليها عدد منهم، وبخاصة منهم أولئك الذين يقطنون الجهة الغربية من الوطن، وبالذات تلمسان، ومن الذين كان لهم ذكر في كتب التراجم والسير، خلال هذه الفترة حسن بن إبراهيم، بن عبد الله، المعروف بابن زكون(8)، (484 – 553هـ) (1091-1158م) عارف بالحديث ومن فقهاء المالكية، ونشأ في تلمسان، ثم رحل إلى فاس طالبا للعلم، ومنها دخل الأندلس.

ولعل أشهر العلماء الجزائريين، خلال هذه الفترة، بعد ابن النحوي، الذين كانت لهم علاقة وطيدة بفاس، العالم الجزائر ((القلعي))، محمد بن علي، بن جعفر، أبو عبد الله، المعروف بابن رمامة (478 - 567)، (1075 - 1171م)، من كبار الفقهاء في عصره، قاض له اهتمامات بالعلوم والفلسفة .

ولد وتعلم، ونشأ بقلعة بني حماد، وهو تلميذ ابن النحوي، السابق الذكر، رحل إلى الأندلس تاجرا وطالبا للعلم، فلقي هنالك بعض علمائها، فأخذ عنهم، ثم رجع إلى فاس، الذي وجد فيه ضالته، حيث تولى خطة القضاء سنة (536هـ)، (1143م)، قال عنه ابن الأبار: ((حدث - بمدينة فاس- ودرس، وأخذ الناس عنه، وكان فقيها نظارا، مائلا لمذهب المفضل))(9).

وعلى الرغم من قلة علماء الجزائر في فاس، خلال الفترة الأولى هذه من علاقتهم بها كمركز علمي وثقافي، فإن ذلك يمكن إدراجه في ميدان وضع الأسس الأولى لتواصل علمي وثقافي وبشري، بين المغرب والجزائر، والذي ما تلبث نتائجه أن أخذت في التطور إيجابيا كما وكيفا، بحيث سنلاحظ في الفترة التي ستليها والتي تصادف عهد الموحدين (1055 - 1296م)، وجزء هاما من عهد المرنيين (15 / 13 م)، تضاعف إعداد الجزائر في فاس، لأسباب وأغراض، قد نقف عليها من خلال تراجم وسير البعض منهم.

2 -2: المرحلة الثانية (13/ 12 م)، (ق 7/ 6 هـ)

وقد تكون هذه الفترة من أ غنى وأزهى الفترات، من حيث التواصل العلمي والثقافي بين الجزائر والمغرب، بحيث نلاحظ خلالها توجها كثيفا لعلماء الجزائر نحو فاس، لا من حيث المناطق المجاورة للمغرب، أي مناطق الغرب الجزائري فحسب، ولكن أيضا من مناطق عدة، من الوطن، جنوبا وشرقا، ومن حيث تعداد العلماء الجزائريين، في فاس، خلا ل هذه الفترة، فلقد أحصينا ما يناهز24 عالما، من كامل جهات الوطن، كانت لهم اتصالات وعلاقات بالمغرب قد تحدد بعضها سيرهم وتراجمهم، التي سنتناول أهمها، باختصار كبير فيما يلي.

ولعل أهم علماء الجزائر، من أهل القرن (12 م)، (6هـ)، الذي كان له اتصال وثيق ببلاد المغرب، الآشيري عبد الله بن محمد(10)، المتوفى (561هـ)، (1165م)، من كبار فقهاء عصره، محدث، أديب، ولد، وتعلم، ونشأ ببلد في الشرق الجزائري(11)، ثم شد رحاله إلى المغرب، ومنه إلى الأندلس، ومن هناك إلى بلاد الشام، ومنها إلى العراق. وفي المغرب تولى خطة الكتابة

قال عنه ابن الأبار: ((... ونال دنيا عريضة، وأورث عقبة نباهة ... توفي مكفوف البصر بالطاعون بمراكش، أول سنة (572هـ) وصلى عليه السلطان وحضر دفنه))(18).

وهناك علماء آخرون(19)، من أهل القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري، والذين كانت لهم علاقة علمية وأدبية، إما بفاس أو مراكش، ولكن شهرتهم كانت أقل من الذين ذكرناهم.

وإذا انتقلنا إلى القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، والذي يشكل جزءا هاما من المرحلة التي نحن بصدد دراستها، نلاحظ بكل وضوح العدد الهام للعلماء الجزائريين في المغرب، خلال هذا القرن الأخير، والذي قدرناه ب: 17 عالما جزائريا بالتقريب، وهو ما يمثل 21.79%، من المجموع الإجمالي لعدد العلماء في المغرب خلال عشرة قرون خلت، علما أن هذه الحقبة التاريخية تصادف عهدي الموحدين في المغرب الكبير والمرينيين، وكلا العهدين امتاز بسياسة رشيدة فيما يتعلق بالعلم و الثقافة والعمران، لذلك فلا غرابة أن نجد هذا العدد الهائل من العلماء الجزائريين في المغرب.

ومن علماء القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، الذين استقروا نهائيا في فاس، ونشأوا وتعلموا وماتوا بها، الهواري الحسن بن حجاج بن يوسف، أبو علي(20)، المتوفى (598هـ)، (1202م)، وهو نجل الهواري حجاج بن يوسف، السابق الذكر. أديب رقيق، وكاتب بليغ، وفقيه رفيع، أصلا من ضواحي بجاية. سكن مراكش. توفي بمدينة فاس، ثم حمل جثمانه إلى مراكش ودفن بها.

ومن المعاصرين للهواري حسن بن حجاج، ابن محشرة محمد ابن علي(21)،(540- 598هـ)، (1935– 1202م) من كبار علماء عصره، أديب متميز، وكاتب بليغ، من كبار فقهاء المالكية في وقته. ولد، وتعلم، ونشأ ببجاية. استدعاه الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى مراكش ليتولى كتابة السر، فأبدى روعته الأدبية وبيان أسلوبه وبلاغة فصاحته. من بعد أبي يعقوب، كتب لولده يعقوب المنصور. وآثاره تشهد على تفوقه وتفننه بأساليب الكتابة والبلاغة.

وفي نفس الفترة عاش الوهراني محمد بن علي(22)، المتوفى سنة (610هـ)، (1205م)، قاض، من كبار الفقهاء في وقته. ولد وتعلم بوهران، ونشأ بتلمسان، التي ولي قضاءها، ثم رحل إلى مراكش، حيث تولى قضاء الجماعة مرتين. قال عنه ابن الأبار: ((كان حميد السيرة، شديد الهيبة، عارف بالأحكام، سريع الفصل بين الخصوم، موصوفا بالعدل...))(23).

ومن شعراء قسنطينة الذين لهم ذكر في هذا الباب، حسن بن علي بن عمر القسنطيني، الشهير بابن الفكون(24)، المتوفى حوالي(602 هـ)، (1205 م)، شاعر المغرب الأوسط في وقته. ولد، وتعلم، ونشأ بقسنطينة. رحل إلى مراكش ومدح خليفة بني عبد المؤمن بقصائد طارت شهرتها في المنطقة.

ومن العلماء الجزائريين، الذين تولوا خطة القضاء بفاس، في العهد الأول لدولة بني مرين، أحمد البسكري، أبو العباس(25)، المتوفى حوالي (516هـ)، (1223م)، قاض، من كبار فقهاء المالكية. ولد وتعلم ونشأ ببسكرة، العاصمة الثقافية للجنوب الجزائري، رحل إلى المغرب، على أيام عبد الحق المريني، مؤسس الدولة المرينية، و ولي القضاء هناك. توفي بفاس.

ومن علماء تلمسان الذين حظوا باهتمام ملوك المغرب فاستقدموهم إليه مكرمين مبجلين، أبو عبد الله بن اللحام التلمساني(26)، عالم فاضل، له بعض الشعر، (558- 614هـ)، (1163 - 1217م)، ولد وتعلم ونشأ بتلمسان، ثم رحل إلى فاس فأخذ وأعطى بها. ولعلمه وعرفانه استقدمه المنصور يعقوب بن يوسف إلى مراكش فاستوطنها، وحظي عنده وعند الناصر والمستنصر بمكانة راقية.

ومن أشهر علماء هذه الفترة، محمد بن علي بن حماد الصنهاجي (27)، (548 - 628هـ)، (1154 - 1231م)، مؤرخ، شاعر، أديب، قاض، له اهتمامات بعدة علوم عصره: اللغة، والفقه، والحديث، ولد، ونشأ ببرج حمزة بالقرب من البويرة، وتعلم في قلعة بني حماد، وبجاية، والجزائر العاصمة وتلمسان. تولى قضاء سلا (الرباط) سنة (613هـ)، ثم استوطن مراكش وتوفي بها.

ومن أهل القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، الذين استقروا نهائيا في المغرب إلى أن وافاهم اجلهم به، محمد بن إبراهيم الغساني(28)، المتوفى (663هـ)، (1264م)، عارف بالحديث، وعلوم اللغة العربية، نسابة، له اهتمامات بالتاريخ والأدب والفقه. ولد ونشأ، وتعلم بتلمسان وسبتة، ومنها دخل الأندلس فأخذ عن علماء اشبيلية، ثم عاد إلى المغرب، فسكن مدينة أسفي إلى أن مات.

ويضاف إلى هؤلاء، إبراهيم بن أبي بكر، أبو إسحاق، التلمساني، الذي عاش فيما بين سنتي (609 - 690هـ)، (1213 - 1291م)، وهو شاعر، أديب، من فقهاء المالكية البارزين في عصره. ولد بتلمسان وانتقلت عائلته به إلى الأندلس وهو ابن التسعة أعوام، وسكن مالقة مدة، وبها تلقى معظم تعليمه، ثم انتقل إلى سبتة واستقر بها إلى أن مات، عن سن متقدمة فسحت المجال للانتفاع بعلمه وعرفانه.(29).

ومن علماء تلمسان، الذين حظوا بمكانة موفقة لدى ملوك وأمراء بني مرين، محمد بن أحمد بن عمر، بن الدراج التلمساني(30)، المتوفى (693هـ)، (1294م)، ولد بتلمسان، ونشأ بسبتة، فكفله أميرها، وأعانه على طلب العلم، ومنها انتقل إلى فاس، حيث أتم دراسته، ثم درس بها، وأصبح من خاصة الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (638- 702هـ)، فولاه قضاء سلا.

ويضاف إلى التلمساني محمد بن أحمد، الخطيب بن أحمد بن عبد الرحمان(31)، وهو من أهل القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، قاض، متضلع في علوم الفقه. قال عنه الغبريني: ((هو أو بيت بني الخطيب ببجاية، ولي قضاءها من مراكش، استمرت مدته، وطالت ولايته، وكان أكثر الناس حظوة عند بني عبد المؤمن...))(32).

ومن أشهر علماء الجزائر، الذين عاشوا فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، السابع والثامن الهجريين والذين كانت لهم علاقة ببلاد المغرب، محمد عمر بن محمد، أبو عبد الله، الشهير بابن الخميس(33)، (645 - 708هـ)، (1247 - 1309)، شاعر فحل، عارف بالعربية وعلومها، ولد بتلمسان، وتعلم ونشأ بها. ولاه السلطان. أبو سعيد بن يغمراسن ديوان

الإنشاء وأمانة سره، ثم رحل إلى سبتة فأقام بها مدة من الزمن، ومدح أمراءها من بني العزفي.

ومثله عيسى الزواوي بن مسعود(34)، (664 - 743هـ)، (1265 - 1352م)، قاض، فقيه، عارف بالحديث والتاريخ. ولد بالزواوي ودرس في بجاية والإسكندرية، ورحل إلى فاس حيث أقام مدة زمنية، وولي قضاءها(35).

3.2: المرحلة الثالثة (ق14م)، (ق 8هـ)

وقد استمر التواصل العلمي والثقافي بين الجزائر وفاس طيلة القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن الهجري، وامتد إلى جزء من القرن الذي يليه، متميزا بنفس ميزات القرن السابق الذكر، (13م)، (7هـ)، بحيث يلاحظ خلاله، في سبته ومراكش وفاس، عددا لابأس به من علماء الجزائر قدموا إليها من بلاد الزواوي، ومناطق الونشريش، وندرومة وتلمسان، على وجه الخصوص.

ومن جملة علماء هذا العصر، (العصر المريني)، محمد بن عبد الله الندرومي(36)، المتوفى سنة (749هـ)، (1347م)، قاض، من كبار فقهاء المالكية. ولد في ندرومة ونشأ بها، وتعلم بتلمسان والمشرق العربي . ولما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان سنة (737هـ)، قربة إليه وولاه قضاء عسكره، ثم قضاء كل من تلمسان وفاس.

وبالجملة، فمن بين أهل القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن الهجري، برز على الأقل ثلاثة منهم، كعلماء مبرزين نالوا شهرة واسعة بين معاصريهم، وهم على التوالي، مرتبين حسب تاريخ وفاتهم: محمد المقري، سنعطي نبذة وجيزة عن حياتهم(37).

أما عن محمد المقري التلمساني، المتوفى سنة (759هـ)، (1359م)، الذي لا ينبغي الخلط بينه وبين المؤرخ أحمد المقري، الذي هو من أهل القرن 17 / 16 م، والذي سنتطرق إليه في وقته، فهو شيخ لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمان بن خلدون، باحث، أديب، من أعلام الفقه المالكي في عصره. ولد، ونشأ، وتعلم بتلمسان، وتونس، والمغرب. رحل إلى المشرق والأندلس،

ثم عاد إلى مسقط رأسه، حيث انصرف إلى البحث والدراسة وخدمة العلم. ولما اعتلى عرش المرينيين، أبو عنان المريني، سنة (752هـ). استدعاه إلى مابين فولاه قضاءها وبنى له مدرسته المتوكلية الشهيرة بالطالعة الكبرى. ثم اعتزل القضاء، ورحل إلى الأندلس في مهمة كلف بها، في جمادي سنة756هـ فوشي به إلى أبي عنان، فنقم عليه، وسعى العلماء لديه، فزالت نقمته وعفا عنه. فعاد إلى فاس، وتوفى في السنة نفسها، وبعد نقلت رفاته إلى تلمسان مقر أجداده(38).

أما عن محمد بن أحمد الشريف التلمساني، (710 -771هـ)، (1310 - 1370م)، فهو، حسبما تذكر التراجم والسير، علم من أعلام المالكية، ومن كبار باحثيهم، وشيخ من شيوخهم، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب، ولد في قرية صغيرة، من قرى تلمسان، تسمى العلوين، وتعلم، ونشأ بتلمسان، لزم كل من ولدي الأمام، عيسى وعبد الرحمان، السابقي الذكر، كما لازم الابلي(39)، (1272 - 1350)، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، أشهر علماء المغرب الأوسط في عصره، أستاذ لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمان بن خلدون. ومن تلمسان انتقل الشريف التلمساني إلى تونس طلبا للعلم(40). ولعلمه وعرفانه وكنانته بين نظرائه اختاره السلطان أبو عنان المريني لمجلسه العلمي ورحل به إلى فاس سنة (753هـ). ولكن حنينه إلى مسقط رأسه جعله مستاء من الاغتراب، فاعتذر لأبي عنان، فغضب عليه واعتقله لمدة شهر، ثم أطلق سراحه ثانية، فلازمه حتى توفي سنة (759هـ) وأقصاه من مجلسه ثم تراجع عن قراره وقربه إليه، وخلفه أبو حمو بن يوسف، الذي استدعاه وقربه منه، وزوجه ابنته، وبنى له مدرسة، فانصرف لخدمة العلم إلى أن وافاه أجله(41).

نشأ، وتعلم بمدينة قسنطينة. ورحل إلى المغرب، سنة (759هـ)، حيث تتلمذ على علماء فاس. وأقام بالمغرب حوالي 18 عاما، وفي سنة (769هـ)، تولى قضاء دكالة، وعمره إذ ذاك 29 عاما، وذلك سبع سنوات. وفي سنة 776، رجع إلى مسقط رأسه قسنطينة التي تولى بها عدة خطط كالخطابة والإفتاء والقضاء، وانصرف إلى التدريس ونشر العلم والتأليف إلى أن توفي(44).

أما عن العقباني سعيد التلمساني (720 - 811هـ)، (1360 - 1408). نسبة لعقبان من قرى الأندلس، وهو أمام تلمسان وعلامتها في وقته، قاض، من أكابر فقهاء المالكية في عصره. تتلمذ على ابني الإمام، عيسى وعبد الرحمان، وكذلك عن الابلي السابق الذكر. حظي بتوليه قضاء بجاية في عهد السلطان المريني أبي عنان المريني، والعلماء إذ ذاك متوافرون بكثرة، كما ولي القضاء في عدة مدن هامة، بالمغرب الكبير، منها وهران وتلمسان ومراكش وسلا، وهو ما يثبت قطعا الجانب العلمي والثقافي الهام الذي كان يتمتع به الرجل(45).

وبالعقباني سعيد، تنتهي مرحلة من مراحل حركة العلماء الجزائريين نحو المغرب، وتدخل العلاقات الثقافية والعلمية بين الجزائر والمغرب الشقيق، في مرحلة أخرى، أقل أهمية، لا من حيث عدد علمائها فحسب، ولكن أيضا من حيث نوعيتهم، والمكانة العلمية التي تصدرها في وقتهم.

أما عن حسن بن عثمان الونشريسي، الشهير بأبي على الونشريسي (40)، (724 -788هـ)، (1324 - 1386م)، شاعر، أديب، قاض، من كبار فقهاء المالكية في وقته. أصله من قبيلة بني تجين، رحل جده ابن عطية إلى المغرب. ولد بتاوريرت من أحواز مكناس. تعلم، وتربى ونشأ بالمغرب. ولي قضاء فاس نيابة، ثم قضاء مكناس وسلا، ثم تخلى عن القضاء وانصرف إلى التدريس بجامع القرويين، إلى أن توفي.

4.2: المرحلة الرابعة (ق 15 / 14م)، (ق 9 / 8 هـ)

هذا عن القرن الرابع عشر الميلادي الهجري، أما عن أهل القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، أي الثامن والتاسع الهجريين، فقد أحصينا منهم ثلاثة، وهم مرتبون حسب تاريخ وفاتهم:

أحمد ابن القنفذ، العقباني سعيد، ومرزوق بن الحفيد(43). وأشهرهم على الإطلاق، أحمد بن القنفذ بن حسن، الشهير بابن الخطيب وبابن القنفذ القسنطيني، (740 -809هـ)، (1340 - 1406م)، بحاثة، عارف بالتراجم والسير، وبعلم التاريخ والحديث والفلك والفرائض، كثير التأليف، ألف في كثير من

العلوم والفنون، البعض منها لم يسبقه أحد إليه، وقد اشتهر بابن الخطيب لأن جده وأباه توليا الخطابة لمدة كبيرة من حياتهما، أما اشتهاره ابن القنفذ فذلك راجع إلى القسنطينية، منذ أمد طويل، وعلى الأقل منذ القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، ولد ابن القنفذ، وتربى، ونشأ، وتعلم بمدينة قسنطينة، ورحل إلى المغرب، سنة (759هـ)، حيث تتلمذ علي علماء فاس. وأقام بالمغرب حوالي 18 عاما، وفي سنة (769هـ)، تولى قضاء دكالة، وعمره إذ ذاك 29 عاما، وذلك لمدة سبع سنوات. وفي سنة 776، رجع إلى مسقط رأسه قسنطينة التي تولى عدة مناصب كالخطابة والإفتاء والقضاء، وانصرف إلى التدريس ونشر العلم والتأليف إلى أن توفي(44).

أما عن العقباني سعيد التلمساني (720-811هـ)، (1360 - 1408م)، نسبة لعقبان من قرى الأندلس، وهو إمام تلمسان وعلامتها في وقته، قاض، من أكابر فقهاء المالكية في عصره. تتلمذ على ابني الإمام، عيسى وعبد الرحمان، وكذلك عن الآبلي السابق الذكر. حظى بتوليه قضاء بجاية في عهد السلطان المريني أبي عنان المريني، والعلماء إذ ذاك متوافرون بكثرة، كما ولي القضاء في عدة مدن هامة، بالمغرب الكبير، منها وهران وتلمسان ومراكش، سلا، وهو ما يثبت قطعا الجانب العلمي والثقافي الهام الذي كان يتمتع به الرجل(45).

وبالعقباني سعيد، تنتهي مرحلة من أنهم مراحل حركة العلماء الجزائريين نحو المغرب، وتدخل العلاقات الثقافية العلمية بين الجزائر والمغرب الشقيق، في مرحلة أخرى، أقل أهمية لا من حيث عدد علمائها فحسب، ولكن أيضا من حيث نوعيتهم، والمكانة العلمية التي تصدروها في وقتهم.

5.2: المرحلة الخامسة (قرن 15 وبداية القرن 16م)، (نهاية 8 / 9هـ)

ومن علماء هذه الفترة، الذين كان لهم اتصال مباشر، ببلاد المغرب، تونس الونشريسي، المتوفى (816هـ)، (1416 م)، وأبو عبد الله التلمساني، محمد بن عمر بن الفتوح، المتوفى سنة (818هـ)، (1415م)، وأبو الحسن المطغري، الذي عاش فيما بين سنتي: (871-951هـ)، (1466-1545م)، وأحمد الخلوف

(829-899هـ)، (1455-1494م)، وأحمد الونشريسي- صاحب المعيار-(835-914هـ). (1430-1509م)، وهو أشهرهم على الإطلاق.

أما عن الونشريسي يونس بن عطية بن موسى يوسف التيجاني الونشريسي(47)، المتوفى سنة (816هـ)، (1413م)، قاض من أعلام فقهاء المالكية في وقته. أصلا من قبيلة بني تجين، وهو من نفس أسرة الونشريسي عمر بن عثمان، أبو علي ونشريسي حسن بن عثمان، أبو علي، السابقي الذكر، رحلت عائلته إلى المغرب واستقرت بضواحي مكناس، حيث ولد- وتعلم- ونشأ، وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب. ولي القضاء قصر كتامة.

وفي نفس الفترة الزمنية عاش، محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني، أبو عبد الله(48)، المتوفى سنة (818هـ)، (1415م)، وهو عالم مالكي معتبر، ولد بتلمسان، وبها تعلم وتربى ونشأ، ثم انتقل إلى فاس سنة (705)، وهو أول من أشاع فيها ((مختصر خليل)). درس بمدرسة بي عنان، وعرض عليه كرسي الفقه بمدرسة العطارين. فاعتذر ثم رحل إلى مكناس، فأصيب بالطاعون ومات هنالك.

ومن العلماء الجزائريين، الذين عاشوا في نفس الفترة الزمنية، وقضوا جزءا هاما من حياتهم في المغرب، وماتوا هناك، علي بن موسى ابن علي بن هرون المطغري، الشهير بابن هرون أبو الحسن (49)، (871 - 951هـ)، (1466 - 1545م)، من كبار فقهاء المالكية له اهتمامات ببعض علوم عصره كالتفسير واللغة العربية، والحساب، والفرائض، ونحوها. ولد في مطغرة، من قرى تلمسان، وانتقل إلى فاس سنة (891هـ). قال عنه التمبوكتي: ((حضر جنازته السلطان فمن دونه، وإفادته لا ساحل لها كأنه لا يتنافس إلا بفائدة ...))(50).

ومن أشهر علماء الجزائر، في المغرب، خلال هذه الفترة، بدون منازع أحمد الونشريسي، أبو العباس التلمساني(51)، (834 - 914هـ)، (1430 - 1509م)، من كبار علماء القرن 16م، العاشر الهجري، فقيه مالكي من كبار فقهاء عصره، حامل لواء المذهب المالكي في المغرب العربي آنذاك. ولد، وتعلم، وتربى، ونشأ بتلمسان، وأخذ عن كبار أعلامها كابن مرزوق

العقباني، السابقي الذكر. وفي أوائل سنة (874هـ)، حصلت له حادثة مع سلطان تلمسان، فنوى هذا الأخير الانتقام منه، ففر إلى مدينة فاس، واستقر بها، وما لبث أن برز بين علمائها، فكان عالمها الأول، ومدرسها ومفتيها، وبقي كذلك محترما مكرما، إلى أن انتقل إلى جوار ربه. ولعل شهرة أحمد الونشريسي، التي استمرت طيلة قرون، وإلى يومنا هذا لا تزال محل احترام الخاص، ترجع إلى مؤلفه الشهير: ((المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب)9، في 12 جزءا، ويقول عنه التمبوكتي: ((جمع فأوعى وحصل فوعى))(52).

هذا عن المرحلة الخامسة لحركة علمائنا نحو المغرب. وإذا انتقلنا إلى المرحلة التي تليها، وإطارها زمنيا القرن السادس عشر الميلادي، العاشر الهجري، فعلى خلاف تونس، كان هذا القرن من أثرى وأزهى العصور ثقافيا وعلميا، بالنسبة للجزائر وعلمائنا، إذا أخذنا بعين الاعتبار عدد العلماء الجزائريين في المغرب خلال هذا العصر.

2 ·6: المرحلة السادسة (ق 16م)، (10هـ)

ولقد استطعنا إحصاء حوالي 13 عالما جزائريا، كانوا في المغرب، خلال هذه المرحلة، وهو عدد لا يستهان به، فهو كما مر بنا يقارب عدد علماء الجزائر، في المغرب، خلال القرن 13م، (7هـ)، وذلك على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية الخطيرة التي عاشتها الجزائر، والتي لم تكن لا في صالح العلم ولا في صالح أهله.

ومن علماء هذا العصر، في المغرب، مرتبين حسب تاريخ وفاتهم: الوهراني أحمد(53)، متوفى (920هـ)، (1514م)، التلمساني محمد بن محمد المتوفى (920هـ)، (1514م)، ومحمد شقرون، المتوفى (929هـ)، (1522م)، وعبد الواحد الونشريسي، المتوفى (935هـ)، (1539م)، وابن جيدة الوهراني، المتوفى (951هـ)، (1544م)، وعلي ابن عيسى التلمساني، المتوفى (980هـ)، (1572م)، وأحمد العقباني، المتوفى (980هـ)، (1571م)، ومحمد بن عبد الرحمان التلمساني (908 - 981هـ)، (1502- 1573م)، ومحمد شقرون (908 - 983هـ)، (1502 - 1575م)، وأحمد بن محمد التلمساني، المتوفى(984هـ)، (1582م)، وأبو القاسم بن سلطان

القسنطيني المتوفى (995هـ)، (1582هـ)، ويحي الزواوي، المتوفى (999هـ)، (1590م)، ومحمد بن القاد، المتوفى (1001هـ)، (1593م)، والمقري أحمد (986 - 1041هـ)، (1578 - 1631م)، الذي هو أشهرهم على الإطلاق.

زمنيا قد يتصدر علماء الجزائر، في المغرب الشقيق خلال هذه المرحلة، الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون، أبو العباس، من كبار فقهاء المالكية في عصره، عارف بالحديث حافظ له، ولد، وتعلم، وتربى، ونشأ في وهران، كما هو واضح من كنيته. رحل إلى فاس، حيث جلس إلى التدريس، فطارت شهرته وأقبل عليه جمع غفير من طلبة العلم فأعجبوا بعلمه وسعة اطلاعه وسرعة استحضاره، وإعجابهم بشخصيته، فاقد كان أحمد الوهراني، أشقر اللون، أصفر العنين ذا صوت معبر جهير، ساس العبارة، قوي الذاكرة أخذ عنه كثير من الطلبة والعلماء مختلف العلوم، التي كانت متناولة في عصره. توفي بين سنتي: (920 - 930هـ)، (1514 - 1524م)(54).

وفي نفس القرن، عاش بفاس، الونشريسي عبد الواحد بن أحمد بن يحي الونشريسي(55)، المتوفى حوالي سنة (955هـ)، (1549م)، أديب، له بعض الشعر، عارف بعلوم اللغة العربية، نحوي، قاض. تعرض والده الونشريسي أحمد(56)، السابق الذكر، إلى اضطهاد حكام تلمسان، ففر إلى فاس، حيث ولد عبد الواحد، فتعلم على يد أبيه وعلى بعض أعلام فاس. ولي القضاء في فاس لمدة عقدين من الزمن تقريبا، ثم تولى خطة الإفتاء. يقول عنه التمبوكتي: (كان فائق الإنشاء والشعر...فصيح العبارة، آية في إنشاء الخطب البليغة، له نظم كثير في مسائل مختلفة...))(57). توفي مقتولا في فاس.

وكان بفاس، في نفس الفترة التي عاش فيها الونشريسي عبد الواحد أحمد بن محمد بن يحي، المعروف بابن جيدة الوهراني(58)، المتوفى سنة (951هـ)، (1544م)، من كبار فقهاء المالكية في عصره. ولد، وتعلم ونشأ في وهران، ومنها رحل إلى فاس، حيث جلس للتدريس، فأخذ عنه عدد من العلماء وطلبة العلم.

ومن علماء أواخر القرن العاشر الهجري، الثلث الأخير من القرن السادس عشر الميلادي، الذين تصدروا للتدريس بفاس، العقباني(59)، أحمد بن محمد، أبو العباس(60)، من فقهاء المالكية، مهتم بعدة علوم، من علوم عصره.

ولد بتلمسان، وبها تعلم ونشأ. انتقل إلى فاس، حيث جلس للتدريس بجامع القرويين. قال عنه صاحب دوحة الناشر: ((توفي بفاس في آخر العشرة الثامنة، من القرن العاشر وسلسلة سلفه، سلسلة العلم والفضل))(61).

ومن أشهر علماء الجزائر، في المغرب، خلال هذه الفترة، محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني(62). الذي عاش فيما بين سنتي: (908 981هـ)، (1502 - 1573م)، من أكابر علماء عصره، مفتي تلمسان وفاس. ولد، وتعلم، ونشأ، بتلمسان. رحل إلى فاس سنة (958هـ)، فنال مكانة مرموقة عند السعديين فولوه خطط الإمامة والخطابة والتدريس بجامع القرويين بفاس، وكانوا يستدعونه بين أعيان العلماء إلى مراكش ويستصحبونه معهم في بعض إسفارهم. قال أحدهم عنه: ((قدم ابن جلال إلى سوس صحبة السلطان عبد الله الغالب السعدي عام (980هـ)، فأقام بها معه سنة قدم خلالها للقراء بالجامع الكبير بتارودنت- معارف غزيرة مستندة إلى دلائل متينة- فأخذ عنه كثير من طلبتها))(63). وقال عنه آخر: ((طالت أيام رياسته العلمية بفاس حتى أسن وأثقله الهرم وانتفع الناس به))(64).

وقد تضاهي المكانة التي حظي بها، عند السعديين، شقرون محمد ابن هبة الله، المعروف في عصره، بشقرون التلمساني(65)، (908 - 983هـ)، (1503 - 1575م)، مكانة ابن جلال التلمساني، السابق الذكر، بحيث عرف محمد شقرون، في المغرب، ((بمالك الصغير))، في وقته، دلالة على مكانته بين معاصريه. وإلى جانب علوم الفقه، اهتم بعلوم أخرى كانت سائدة في عصره، مثل المنطق، والفرائض، والبيان، وغيرها. ولد وتعلم ونشأ بتلمسان، وولي الإفتاء بها، ومنها رحل إلى فاس سنة (967هـ)، فنال مكانة مرموقة عند الغالب بالله السعدي، فنصب له كرسيا للتدريس داخل قصره، ((وقلده الفتوى ورئاسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب))(66)، ولم يقتصر نشاطه العلمي على القصر الملكي، بل تعداه ليمس كثيرا من العلماء وطلبة العلم، في المغرب، الذين أخذوا عنه وانتفعوا به توفي بفاس.

وفي نفس المقام العلمي، والأدبي، والسياسي، في المغرب، كان التلمساني أحمد بن يعقوب العبادي، أبو العباس(67). المتوفى نحو (980هـ)، (1572)، من أكابر علماء عصره. ولد، وتعلم، ونشأ بتلمسان، ثم رحل

إلى المغرب، واستقر بفاس، سنة (968 هـ)، مع جماعة من علماء تلمسان، بسبب فتنة وقعت بينهم وبين العثمانيين، فحظي بمكانة مرموقة لدى حكام المغرب، فأكرموه، فتصدر للتدريس في فاس مدة من الزمن، ثم رجع إلى وطنه حيث توفي(68).

وفي نفس القرن، في المغرب، طارت شهرة، ابن الوقاد محمد بن أحمد(69)، المتوفى سنة (1001هـ). (1593م)، أديب، فقيه، عارف بالتفسير والحديث. ولد، وتعلم بتلمسان، وبعد دخول العثمانيين إليها، غادرها، ونزل هو وعائلته، بمدينة ترودانت، بالمغرب، التي كانت تسودها لهجة من اللهجات البربرية، الشيء الذي جعله يصطدم ببعض العراقيل، فغادرها مضطربا ليستقر مدة من الزمن في سجلماسة، ثم مكناس، ثم فاس ثم عاد إلى ترودانت، فولي التدريس والفتوى والإمامة والخطابة بجامعها الكبير، وقد يرجع الفضل إلى ابن الوقاد، في نشر اللسان العربي، في ترودانت ومناطقها، خلال هذا العصر. وقد سار ابنه، ابن الوقاد عبد الرحمان، الذي سنتطرق إليه في أوانه، على دربه، وخلفه في المناصب التي كان يشغلها في ترودانت، علميا وأدبيا. ويقول عنه أحدهم: ((هو- محمد بن الوقاد- أول من قرأ الجامع الصحيح للبخاري بترودانت قراءة ضبط وإتقان، وخطب فيها ببراعة اللسان، و أول من أحيا بها ليلة مولود باجتماع الناس في منزله وقراءة قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم))(70).

ولكن أشهر علماء الجزائر(71)، في المغرب،إطلاقا، خلال هذا العصر، هو أحمد المقري بن محمد بن يحي، أبو العباس، المعروف بالمقري التلمساني (986 - 1041هـ)، (1578 - 1631م)، مؤرخ، أديب، محدث، مفسر، آية في علم الكلام، اشتهر ليس فحسب في المغرب العربي، ولكن أيضا في المشرق العربي، حيث قضي جزءا من حياته أخذا وعطاء، أخذ فقنع، وأعطى فأجزل العطاء. ولد أحمد المقري بتلمسان، وبها تعلم، ونشأ، ومنها انتقل إلى فاس، سنة (1009هـ)، (1600م)، حيث حضر مجلس علي بن عمرات السلاسي في جامع القرويين، وناقشه في بعض مساءل الفقه الإسلامي، فاعترف له السلاسي بالتفوق عليه وأقر له بقوة الحجة والبرهان والنباهة. ثم انتقل إلى مراكش في نفس السنة، فعلم الخليفة

المنصور السعدي بمقدمه، فاستدعاه، وقربه إليه، وأكرمه. وفي مراكش ربطت بينه وبين علمائها علاقات علمية وودية، يذكرها هو نفسه في أحد مؤلفاته. وفي منتصف سنة (1010هـ)،(1601م) عاد إلى فاس، التي غادرها بعد بضعة أشهر إلى مسقط رأسه تلمسان، وفي أوائل سنة (1013هـ)، (1604م)، عاد إلى فاس ثانية، فأسندت إليه، سنة (1022هـ)، خطة خمسة سنوات، أي حتى سنة (1027هـ). التي قد تكون من أزهى، سنوات أحمد المقري، عطاء وخدمة للعلم وأهله. أما الشق الثاني من حياته (1618 - 1631م)، فهو خاص بالمشرق العربي، وسنتناوله في موضعه(72).

وهكذا يتضح جليا عمل العلماء الجزائريين في المغرب، والمكانة العلمية الراقية التي احتلها جلهم، في وقت توفر فيه العلماء بكثرة، سواء هنا أو هناك.

ومن زاوية أخرى يبدو القرن السادس عشر الميلادي، العاشر الهجري، كعصر فاصل بين حقبة تاريخية وآخرى، فيها يتعلق بحركة العلماء الجزائريين نحو البلدان المغاربية.

ووفرة علماء الجزائر في المغرب، خلال هذا العصر، قد يرجع إلى الظروف السياسية التي سادت المنطقة، وبالأخص إلى الأحداث العسكرية وما نتج عنها من توتر بين العثمانيين والسعديين، الذين يبدو أنهم جلبوا إليهم العلماء الجزائريين معارضة للعثمانيين في الجزائر.

وخلافا لتونس التي انخفض بها، خلال هذا القرن، عدد العلماء الجزائريين بشكل ملحوظ(73)، فات عددهم، في المغرب، قد ارتفع ارتفاعا ملموسا، بحيث يمكن مقارنة هذا العصر، بعصر الحفصيين مثلا، أو بنصف القرن الأول من العهد الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

وتبدو مميزات حركة العلماء الجزائريين نحو المغرب خلال هذا العصر في جانبين اثنين، أولهما هو أن الأسماء البارزة العلمية الجزائرية، قبل أن تبرز في موطنها الأصلي، برزت في المغرب، ومن ثم فشهرتها مغاربيا ومشرقيا، لها علاقة باتصالها بفاس، لسبب أو لآخر أو منهم من

سبقته شهرته إليها، وعرف بها، قبل أن ينتقل إليها من تلقاء نفسه أو مستدعى من طرف حكامها. أما ثانيهما، فهو أن علماء هذا العصر، في المغرب، ليسوا كلهم من الجهة الغربية للوطن، أي من المناطق القريبة من المغرب، بل اتجه إلى فاس علماء من قسنطينة، بالشرق الجزائري، كما اتجه إليها آخرون من وسط وغرب البلاد على السواء جمعت بينهم فكرة واحدة، وهي: الإفادة والاستفادة علميا، الشيء الذي سنلاحظ تقلصه، والذي كاد أن ينعدم تماما في الفترات اللاحقة.

7.2: المرحلة السابعة (ق 18 / 17م)، (ق 12 / 11هـ)

تمتد هذه المرحلة زمنيا فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، وهي من أحلك الفترات العلمية والثقافية التي عاشتها الجزائر، بحيث ساد البلاد ركود وخمول فكري وثقافي، لا يضاهيه إلا ركود وخمول القرنين السادس والسابع الميلاديين، الأول والثاني الهجريين، ومع ذلك فمن خلال ما سيأتي، قد نلاحظ بعض الأسماء الجزائرية، وإن كانت قليلة، التي أدت ما عليها علميا، لا في الجزائر فحسب، ولكن أيضا في المغرب الشقيق.

ومن علماء هذه المرحلة، في المغرب(74): محمد بن عبد الكريم الجزائري، المتوفى سنة (1102هـ (1691م)، والمنجلاتي عمر(75)، المتوفى (1104هـ)، (1693م)، والبطيوي عيسى (ق11هـ)، (ق 17م)، وابن الكماد محمد بن أحمد، المتوفى (1116هـ)، (1704م)، وعبد الرزاق بن حمادوش، المتوفى (1156هـ)، (1743م)، وابن الوقاد عبد الرحمان، (1057هـ)، (1647م)، والتلمساني عبد الرجمان بن إدريس، المتوفى (1179هـ)، (1783م)، وأحمد التيجاني، الطرقي المعروف، (1150 - 1230هـ)، (1737 - 1815م).

ومن أهم هؤلاء، في المغرب، خلال هذه الفترة، ترتيبا حسب تاريخ وفاتهم، محمد بن الكماد بن أحمد القسنطيني(76)، المتوفى سنة (1116هـ)، (1704م)، من كبار علماء عصره، عارف بالمنطق والحديث وعلم الكلام والفقه المالكي. ولد، وتعلم، ونشأ بقسنطينة. رحل إلى المغرب واستقر بمدينة فاس،

حيث اكتسب شهرة فائقة، بين علمائها. قال أحمد عنه: ((له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته واتساع ملكته))(77). توفي بفاس.

وفي نفس الفترة الزمنية عاش عبد الرزاق بن حمادوش(78)، المتوفى حوالي (1158 هـ)، (1745م)، عالم من أشهر علماء عصره، مؤرخ، نسابة، مهتم بعدة علوم من علوم عصره، رحل إلى المغرب بين سنتي (1743 - 1744هـ)، (1156 - 1157م)، حيث ألف كتابه "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل)(79)، وقد وجد ابن حمادوش، في المغرب أيام الاضطرابات الخطيرة التي عاشتها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل، (1727 - 1757م) ولكن ذلك لم يمنعه من التنقل والتجوال عبر عدد من مدن ومناطق المغرب ممارسا نشاطه العلمي في ظروف تكاد تكون عادية.

وقد سبق ابن الوقاد عبد الرحمان كل من ابن الكماد وابن حمادوش، في المغرب حيث توفي سنة (1057 هـ)، (1647م)، وهو نجل ابن الوقاد محمد السابق الذكر، الذي رحل إلى المغرب، وبالضبط إلى ترودانت حيث استقر، وولد عبد الرحمان، شاعر، عارف بعلوم اللغة العربية خطيب ماهر، أصلا من تلمسان، لما مات أبوه خلفه وتصدر الخطابة والإمامة والتدريس بترودانت(80).

هذا فيما يخص القرن السابع عشر الميلادي(81)، أما عن أهل القرن الذي يليه أي القرن الثامن عشر، فهم كما سبقت الإشارة إلى ذلك قلة قليلة، وقد يكون أشهرهم في المغرب، التلمساني عبد الرحمان بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني(82)، ثم الفاسي المعروف بالمنجرة المتوفى سنة (1189 هـ) (1783م)، وواضح من هنا أنه لطول مكوثه في فاس وتاثيره في محيطها العلمي الثقافي، أصبح يعرف "بالفاسي" عوضا عن "التلمساني" وذلك ما لاحظناه مع بعض العلماء الجزائريين لا في المغرب فحسب ولكن أيضا في تونس، وأبو زيد المنجرة من كبار العلماء المغاربيين في عصره، له اهتمامات بالعلوم العربية، والمنطق، والأصول والفقه، والتفسير والحديث، ولد وتعلم ونشأ، وتربى بتلمسان ثم رحل إلى فاس بالمغرب حيث اشتهر بعلمه وعرفانه وسعة اطلاعه توفي بفاس.

ومن العلماء الجزائريين في المغرب الذين عاشوا ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أحمد التيجاني بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف(83) مؤسس الطريقة الصوفية بالمغرب، من فقهاء المالكية، عارف بالأدب، وعلم الأصول والفروع، ولد وتعلم ونشأ في عين ماضي، بالجنوب الجزائري، رحل إلى فاس سنة (1171هـ) فأخذ منها شيئا من العلوم، ثم رجع صوب تلمسان، حيث درس بها مدة زمنية، ومنها قصد الحجاز لأداء فريضة الحج، سنة (1186)، فمر بتنس وأقام بها مدة زمنية ما، ثم عاد ثانية إلى فاس، سنة (1213هـ)، حيث استقر نهائيا، إلى أن توفي(84) ولئن كان لأحمد التيجاني نشاط هام، في فاس، فإن أهمية الرجل، وطريقته التي أسسها في فاس، تبرز أكثر في خارج المغرب الكبير، عندما تخطت حدوده لتستقر في قلب غرب إفريقيا، حيث جلبت إليها أعدادا وافرة من الأتباع والمريدين وتصدرت الطرق الصوفية مناك لعبت هاما دينيا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا، لا يزال حتى أيامنا هذه محل اهتمام العام والخاص(85).

وعموما فإذا كانت هذه المرحلة فقيرة بعدد علمائنا في المغرب، فإن المرحلة التي تليها قد تستوقف انتباه الباحث، بحيث يلاحظ عدد العلماء الجزائريين، في المغرب خلالها.

8.2: المرحلة الثامنة (ق19هـ)، (13هـ).

كما لاحظنا، فإن هذه المرحلة تبدو خصبة بعدد علمائنا، في المغرب الشقيق، ولكن قد يميزها عن غيرها من المراحل، هو وضع الفرنسيين أيديهم على البلاد، وعزلها لمدة قرن وما يزيد على نصف القرن من الزمن عن باقي أجزاء العالم العربي، وقد ضيق الخناق على الأهالي، بحيث جعل أجيالا كاملة تولد وتنشأ وتتربى في منطقة ما، وتموت دون أن تعرف بعض مناطق البلاد الأخرى، ذلك لأنه لم يكن في استطاعة الجزائري أن ينتقل من منطقة إلى أخرى، إلا بترخيص من الإدارة الاستعمارية، وهو ما يجعلنا نلاحظ، أن العلماء الجزائريين، في المغرب خلال هذه المرحلة كلهم تقريبا، أصلا من مناطق الغرب الجزائري، الذين كان في وسعهم، أكثر مما كان ذلك في متناول أهل الشرق الجزائري، أو الجنوب، أو الوسط، التنقل إلى المغرب.

وحسب تتبعنا لحركة العلماء الجزائريين نحو المغرب الشقيق، خلال هذه الفترة، استطعنا إحصاء عينة منهم، وها هي إليكم، فيما يلي(86):

الحاج الداودي، المتوفى (1271هـ)، (1854م)، محمد سعيد بن محي الدين المتوفى (1278هـ)، (1861م)، الراشدي الطيب بن المختار، المتوفى (1258هـ)، (1868م)، أحمد الإغريسي (1252هـ)، (1836 -1889م)، الشارف بن تكوك (1218 - 1308هـ)، (1803 - 1880م)، أبو حامد المشرفي المتوفى (1313هـ)، (1895م)، الإغريسي محمد بن عبد القادر، (ق 13هـ)، (ق19م)، عبد الرحمن المجاجي (ق13هـ)، (19م)، العربي الشلفي (ق 13هـ)، (ق19م)، أبو عبد الله المشرفي (ق 13هـ)، (19م)، عبد القادر المجاوي (1264-1332هـ)، (1848 - 1913م)، ابن عليوة (1291 - 1352هـ)، (1874 1934م.

ونلاحظ من خلال هذه القائمة(87)، بعض الأسماء البارزة التي أدت دورا علميا أو سياسيا هاما، منها عبد القادر المجاوي، وابن عليوة، وأبو حامد المشرفي.

ومن أهم علماء الجزائر، خلال القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري، في المغرب، حسب تاريخ وفاتهم، نذكر: محمد سعيد بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري(88)، المتوفى سنة (1278هـ)، (1861م)، وهو الشقيق الأكبر للأمير عبد القادر، فقيه، صوفي، له اهتمامات ببعض علوم عصره، ولد بقرية القيطنة من نواحي معسكر، رحل إلى المغرب، حيث تولى مشيخة الطريقة القادرية. وقد عرضت عليه الإمارة قبل أن تعرض على شقيقه عبد القادر، فلم يقبلها، ولكنه اشترك مع أخيه في كفاحه ضد الفرنسيين. ودوره في هذا الكفاح غير بارز. كما أن دوره العلمي غير بارز لا في الجزائر فحسب، ولكن أيضا في المغرب وعلى عكس ذلك فهو جلي ظاهر في بلاد الشام(89)، وبالضبط في دمشق. وهو الجانب من حياته الذي يخص المشرق العربي، والذي سنتناوله في أوانه وفي الباب الخاص به.

ومن أقرباء الأمير عبد القادر، الذين عاشوا في نفس الفترة الزمنية، والتي لهم علاقة بالمغرب، الراشدي بن المختار بن الطاهر البشير، المتوفى نحو(1285هـ)، (1868م)، أديب، له بعض الشعر، فقيه، ولد ونشأ وتعلم في الراشدية (غريس)، ومنها انتقل إلى تلمسان طالبا للعلم، فأخذ عن بعض علمائنا، ثم رحل إلى فاس، حيث مكث مدة طويلة لطلب العلم، ثم رجع إلى مسقط رأسه. رافق الأمير عبد القادر إلى منفاه، إلى بلاد الشام، ثم عاد إلى أرض الوطن وتولى الإفتاء بتغنيف إلى أن توفي(90).

ومن العلماء الجزائريين، الذين كانوا في المغرب، في نفس الفترة الزمنية، ابن تكوك الشارف بن الجيلالي (91)، (1218 - 1308هـ)، (1803-1890م)، عالم بالفقه والحديث، من أتباع المصلح الثائر ابن السنوسي. ولد في نواحي مستغانم، حيث نشأ وتعلم، ثم رحل إلى المغرب حيث جلس لطلب العلم، ثم عاد إلى مسقط رأسه، وأسس زاوية سنوسية، (1276هـ)، في بوقيرات، على بعد 30 كلم من مستغانم، تقريبا، حيث بقي ينشر العلم بها إلى أن توفي. وزاويته معروفة، في المنطقة، لا في عهد الاحتلال فحسب بمواقفها المناوئة له، ولكن أيضا في عهد الاستقلال، بحيث يقصدها كثير من الزوار من كامل أرجاء القطر ومن خارجه.

ومن بينهم أيضا المشرفي العربي بن عبد القادر، أبو حامد، المتوفى (1313هـ)، (1895م)، مؤرخ، أديب، نسابة، له إنتاج غزير(92)، ولد في ضواحي معسكر . تعلم بوهران، ورحل إلى المغرب بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث أكمل تعليمه. رجع إلى الجزائر، ووصف أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في رحلته إلى بلاد الجزائر سنة 1878. وكتابة هذا منشور بالمجلة الإفريقية. ويبدو أن هناك بعض المواقف المتباينة بين ما كتبه المشرفي حول الجزائر في كتابه هذا وما كتبه في نفس الموضوع في بعض مؤلفاته الأخرى. ولكن السؤال الكبير، بالنسبة للمشرفي، فيما يخص إنتاجه الغزير، هو ما هي الفائدة التي يمكن الوقوف عليها، من هذا الإنتاج الكبير، علميا، وتاريخيا؟

ومن أهل القرن التاسع عشر الميلادي، كذلك المجاجي عبد الرحمان(93)، وهو عالم بالحديث، فقيه، مهتم ببعض علوم عصره. ولد بمجاجة، حيث نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى تلمسان طلبا للعلم. فأخذ عن بعض علمائها، ومنها رحل إلى المغرب، وسكن مدينة فاس، حيث كان له بعض النشاط العلمي والفكري.

وقد يكون المجاوي عبد القادر(94)، (1264– 1332 هـ) (1848–1912م) في الفترة الممتدة ما بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الميلاديين(95)، من أنهم علماء الجزائر في المغرب، وهو من أوائل العلماء الجزائريين، خلال هذه الفترة الذين تبنوا فكرة الإصلاح السلفي، حسب مذهب الشيخ عبده، من كبار العلماء في وقته خطيب ماهر، ولد بتلمسان، حيث تلقى جزءا من تعليمه، ثم انتقل مع عائلته إلى المغرب، فواصل تعليمه في طنجة وتطوان، وأكمله بالقرويين بفاس، ثم عاد إلى الجزائر، فعين مدرسا بالمدرسة الكتانية الرسمية، ومنها نقل إلى المدرسة الثعالبية الرسمية بالجزائر العاصمة، تخرج على يده كثير من القضاة والمترجمين والمدرسين والأئمة والواعظين، مات بقسنطينة.

وبعد وفاة المجاوي بعقد من الزمن نجد في المغرب عالما جزائريا آخر، لأسباب أخرى غير التي جعلت الأول يرحل إلى المغرب، وهو على الحمامي (1320 - 1370هـ)، (1902– 1949 م)، وهو أديب، كاتب، قاض، ولد وتعلم في تيارت، وفي سنة 1922 رحل إلى الحجاز مع أسرته وأدى فريضة الحج، وكان الحمامي من الرافضين لسياسة الاستعمار الفرنسي في الجائر، الشيء الذي جعله يغادر البلاد نهائيا، ولم يعد إليها وقبل انتقاله إلى المغرب، وحبا للاطلاع والاستطلاع، عمل في بآخرة تجارية كانت تجوب العالم بأسره، وخلال هذه الفترة اطلع على الأفكار والآراء الحديثة لكبار الكتاب والأدباء الغربيين وغير الغربيين، الشيء الذي فتح عينيه على عمل وطني ثوري، وكان آنذاك الأمير عبد المالك الجزائري، في ثورة عارمة ضد الفرنسيين في المغرب، فلم يتردد علي الحمامي في الانضمام إلى صفوفه ومشاركته النضال ضد الاستعمار الفرنسي، بعد اغتيال الأمير عبد المالك المغربي التي قادها الأمير عبد الكريم الخطابي، وبقي إلى جانبه يسانده إلى حين فشل الثورة، فرحل إلى باريس، حيث كان الأمير خالد يناضل سياسيا، بعد نفيه من الجزائر، سنة 1923، فانضم إليه

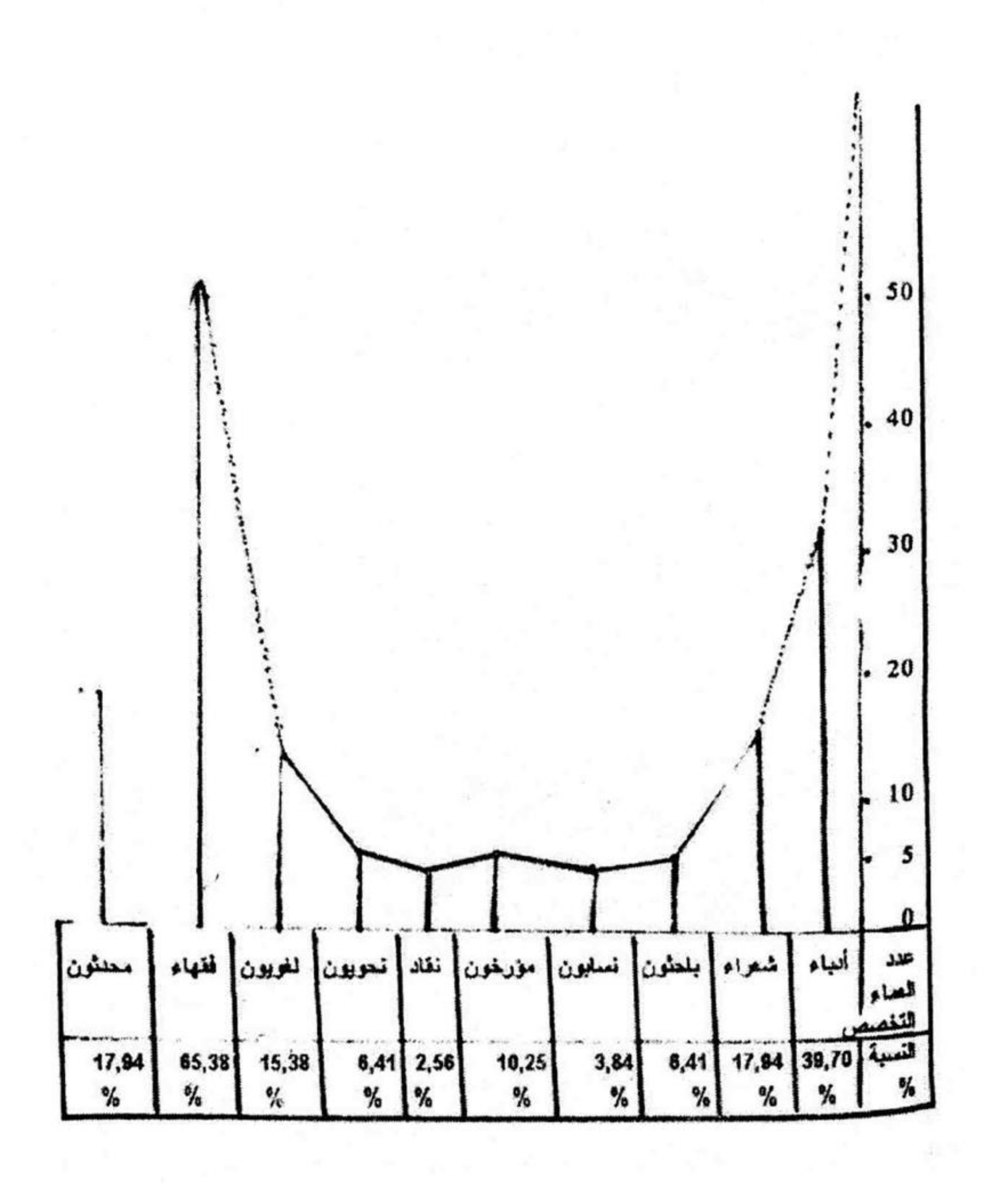
وبعد نفي الأمير خالد إلى الإسكندرية، في سنة 1926، قام الحمامي برحلة طويلة في أوروبا قادته إلى أغلب عواصمها، حيث تعرف على شخصيات أوروبية عالمية، وفي منتصف العقد الثالث من هذا القرن انتبه إلى عمله الاستعمار الفرنسي وبدأ يلاحقه من مكان إلى آخر، فلجا إلى المشرق العربي، حيث واصل نضاله ضده، وبما أن الجزء الآخر من حياته خاص بالمشرق العربي، فسنتطرق لذلك في أوانه، في الباب المخصص لذلك(96).

وخلاصة القول فان عملنا هذا، أن يهدف إلى شيء فإنما يهدف إلى محاربة النسيان، والتذكير بأواصر الأخوة التي ربطت بين شعوب المغرب العربي الكبير منذ عشرة قرون خلت، استمر خلالها التواصل العلمي والثقافي والبشري بدون انقطاع.

وكما لاحظنا بالنسبة لتونس، فان هذا التواصل قد كانت له فترات قوة وضعف، وخضع لعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية فبالنسبة للمغرب، يمكن حصر أزهى فترات هذا التواصل في مراحل أربع هامة، التي تقع أولاها ما بين القرنين (13 / 12) الميلاديين، (7 / 6 هـ)، وثانيها في القرن(14م)، (8هـ)، وثالثها في القرن (16م)، (10 هـ)، ورابعها في القرن ((14م)، (8 هـ 19م)، (13هـ)، (انظر الجدول المرفوق لهذه الدراسة).

العلماء الجزائريون في المغرب

حسب إختصاصاتهم



علماء الجزائر في المغرب

- فيما بين القرنين 12/11م –

- زكون بن حسن (484 – 553هـ)، (1091 – 1158م)
- الرمامة محمد بن علي (478 – 567هـ)، (1085 – 1171م)
- النحوي بن يوسف (433 – 513هـ)، (1041 – 1119م)

- القرن 12م –

- الاشيري عبد الله بن محمد (– 561هـ)، (– 1165م)
- التاهرتي أحمد(–)، (–)
- التاهرتي الحسن (– 501هـ)، (– 1107م)
- التلمساني سليمان عبد الرحمان (– 579هـ)، (– 1183م)
- التلمساني بن أبي جنون (– 577هـ)، (– 1162م)
- المسيلي أحمد (– 538هـ)، (– 1143م)
- الهواري حجاج (– 572هـ)، (– 1176م)

- القرن 13م –

- الاغماتي الحسن بن علي (– 615هـ)، (– 1218م)
- البجائي مروان (– 610هـ)، (– 1213م)
- البسكري الحسن (– 608هـ)، (– 1210م)
- التلمساني إبراهيم (609 – 690هـ)، (1212 – 1291م)
- التلمساني علي بن محمد (– 677هـ)، (– 1279م)
- التلمساني محمد بن إبراهيم (584 – 656هـ)، (1188 – 1258م)
- التلمساني محمد بن أحمد (– 693هـ)، (– 1294م)
- الخطيب أحمد (ق 7هـ)، (ق 13م)
- الصنهاجي محمد بن علي(547 – 628هـ)، (1154 – 1231م)
- الغساني محمد بن إبراهيم (– 663هـ)، (– 1264م)
- الفكون – ابن – الحسن (– 602)، (– 1205م)
- اللحام – ابن محمد (558 – 614هـ)، (1163 – 1217م)
- محشرة – ابن – محمد (450 – 527هـ)، (1135 – 1202م)

- الهواري حسن بن حجاج(– 598هـ)، (– 1202م)
- الوهراتي محمد بن علي (– 601هـ)، (– 1205م)

- القرن 14/13م –

- الزواوي عيسى بن مسعود (664 – 743هـ)، (1265 – 1342م)
- خميس بن محمد عمر (645 – 708هـ)، (1247 – 1309م)

- القرن 14م –

- الإمام بن عيسى (– 749هـ)، (– 1347م)
- الباروني – ابن محمد جنون (– 734هـ)، (– 1334م)
- التلمساني إبراهيم بن عمر (– 797هـ)، (– 1394م)
- الزواوي أحمد بن علي (– 750هـ)، (– 1349م)
- الشريف التلمساني جنون (810 – 771هـ)، (1310 – 1370م)
- المقري محمد جنون (– 759هـ)، (– 1359م)
- المنجلاني محمد بن يعقوب (– 730هـ)، (– 1330م)
- الندرومي محمد (– 749هـ)، (– 1348م)
- الونشريسي أبو علي (724 – 788هـ)، (1324 – 1386م)
- الونشريسي عمر أبو علي (ق7هـ)، (ق 14م)
- القرن 14 – 15م –
- مرزوق ابن الحفيد (766 – 842هـ)، (1364 – 1435م)
- العقباني سعيد (720 – 811هـ)، (1360 – 1408م)
- قنفذ – ابن – أحمد (740 – 809هـ)، (1340 – 1406م)

- القرن 15م

- التلمساني أبو عبد الله (– 818هـ)، (– 1415م)
- الخلوف أحمد (829 – 899هـ)، (1425 – 1494م)
- الونشريسي يونس (– 816هـ)، (– 1413م)

- القرن 15 / 16م –

- المطغر أبو الحسن (871 – 951هـ)، (1466 – 1545م)
- الونشريسي (834 – 914هـ)، (1430 – 509م)

- القرن 16م –

- التلمساني أحمد بن أحمد محمد (– 980هـ)، (– 1582م)
- التلمساني علي بن عيسى (– 980هـ)، (– 1572م)
- التلمساني محمد بن عبد الرحمن (908 – 981هـ)، (1502– 1573م)
- التلمساني محمد بن محمد (– 920هـ)، (– 1514م)
- جيدة – ابن – الوهراني (– 951هـ)، (– 1544م)
- الزواوي يحي (– 999هـ)، (– 1590م)
- شقرون محمد (908 – 983هـ)، (1502 – 1590م)
- شقرون محمد بن محمد (– 929هـ)، (– 1522م)
- العقباني أحمد جنون (– 980هـ)، (– 1571م)
- القسنطيني أبو القاسم (– 995)، (– 1586)
- الوقاد – ابن – محمد (– 1001هـ)، (– 1593م)
- الونشريسي عبد الواحد (885 – 955هـ)، (– 1549م)
- الوهراني أحمد (– 920هـ)، (– 1514م)
-

- القرن 16 / 17م –

- المقري أحمد (986 – 1041هـ)، (1578 – 1631م)

- القرن 17م –

- البطيري عيسى (ق 11هـ)، (ق 17م)
- الجزائري محمد بن عبد الكريم (– 1102هـ)، (– 1691م)
- المنجلاني عمر (– 1104هـ)، (– 1693م)
- الوقاد – ابن – عبد الرحمن (– 1057هـ)، (– 1647م)

- القرن 18م –

- التلماسني عبد الرحمان بن إدريس (– 1179هـ)، (– 1783م)
- حمادوش – ابن – عبد الرزاق (– 1156هـ)، (– 1743م)
- الكماد – ابن – محمد بن أحمد (– 1116هـ)، (– 1704م)

- القرن 18 / 19م –

- التجاني أحمد (1150 – 1230هـ)، (1737 – 1815م)

- القرن 19م –

- الاغريسي أحمد (1252 – 1307هـ)، (1836 – 1889م)
- الاغريسي محمد بن عبد القادر (ق13هـ)، (ق 19م)
- تكوك – ابن – الشارف (1218 – 1308هـ)، (1803 – 1890م)
- الجزائري محمد سعيد بن محي الدين (– 1278هـ)، (– 1861م)
- الحاج الداودي (– 1271هـ)، (– 1854م)
- الراشدي الطيب بن المختار (– 1285هـ)، (– 1868م)
- الشلفي العربي (ق 13هـ)، (ق19م)
- المجاجي عبد الرحمان (ق 13هـ)، (ق19م)
- المشرفي أبو حامد (– 1313هـ)، (– 1895م)
- المشرفي أبو عبد الله (ق 13هـ)، (ق19م)

- القرن 19 / 20م –

- المجاوي عبد القدر (1264– 1332هـ)، (1848– 1913م)
- عليوة - ابن - (1291– 1352هـ)، (1874– 1934م)

- القرن 20 -

- الحمامي علي (1320 – 1370هـ)، (1902 – 1949م)
- مفدي زكريا (1331 – 1396هـ)، (1912 – 1976م)

هجرة العلماء الجزائريين نحو المغرب

فيما بين القرنين 11 و 20 الملاديين

العالم	أديب	شاعر	باحث	نحوي	لغوي	فقيه	محدث	قاضي	مدرس
الأشيري عبد الله بن محمد (-561هـ)،(-1165م)	+					+	+		
الإغريسي أحمد (1252-1307هـ)،(1836-1889م)		+				+			+
الإغريسي محمد بن عبد القادر (- ق 13هـ)،(- ق 19م)						+			+
الأغماتي الحسن بن علي (-615هـ)،(-1218م)		+			+	+			
الإمام -إبن- عيسى (-749هـ)،(-1347م)						+		+	+
الإمام -إبن-عبدالرحمان (-741هـ)،(-1340)						+		+	+
الباروني -إبن- محمد (-734هـ)،(-1334م)						+			
البجائي مروان (-610هـ)،(-1213م)						+		+	
البسكري الحسين (-608هـ)،(-1210م)						+			
البطيري عيسى (-ق 11هـ)،(-ق 17م)			+			+			
التاهرتي أحمد (-)،(-)	+	+							
التاهرتي الحسن (-501هـ)،(-1107م)	+			+					
التجاني أحمد (1150-1230هـ)،(1737-1815م)	+				+				
بن تكوك الشارف (1218-1308هـ)،(1803-1890م)					+				
التلمساني إبراهيم (609-690هـ)،(1212-1291م)	+	+			+				
التلمساني إبراهيم بن عمر (-797هـ)،(-1394م)					+	+	+		
التلمساني أحمدبن أحمد بن محمد (-980-هـ)،(-1582م)						+		+	

التلمساني سليمان بن عبدالرحمان
(-579هـ)،(-1183م)
التلمساني عبدالرحمان بن إدريس
(-1179هـ)،(-1783م)
التلمساني علي بن عيسى
(-980هـ)،(-1572م)
التلمساني بن أبي جنون
(-577هـ)،(-1162م)
التلمساني علي بن محمد
(-677هـ)،(-1279م)
التلمساني محمد بن إبراهيم
(584-656هـ)،(1188-1258م)
التلمساني محمد بن أحمد
(-693هـ)،(-1294م)
التلمساني محمد بن عبدالرحمان
(908-981هـ)،(1502-1573م)
التلمساني أبو عبد الله
(-818هـ)،(-1415م)
التلمساني محمد بن محمد
(-920هـ)،(-1514م)
الجزائري محمد سعيد بن محي الدين
(-1278هـ)،(-1861م)
الجزائري محمد بن عبد الكريم
(-1102هـ)،(-1691م)
جيدة -ابن- الوهراني
(-951هـ)،(-1544م)
الحاج الداودي
(-1271هـ)،(-1854م)
حمادوش -ابن- عبدالرزاق
(-1156هـ)،(-1743م)
الخطيب أحمد
(-ق 7هـ)، (-ق 13م)
الخلوف أحمد
(829-899هـ)،(1425-1494م)
خميس بن محمد عمر
(645-708هـ)،(1247-1309م)
الراشدي الطيب بن المختار
(-1285هـ)،(-1868م)
الرمامة محمد بن علي
(478-567هـ)،(1085-1171م)
زكون بن حسن
(484-553هـ)،(1091-1158م)
الزواوي أحمد بن علي
(-750هـ)،(-1349)
الزواوي عيسى بن مسعود

(664-743هـ)،(1265-1342م)							
الزواوي يحي (-999هـ)،(-1590م)					+		
الشريف التلمساني (710-771هـ)،(1310-1370م)			+		+		
شقرون محمد (908-983هـ)،(1502-1575م)					+		
شقرون محمد بن محمد (-929هـ)،(-1522م)					+	+	
الشلفي العربي (-ق 13هـ)،(-ق 19م)							
الصنهلجي محمد بن علي (547-628هـ)،(1154-1231م)	+	+					+
العقباني أحمد (-980هـ)،(-1571م)					+		
العقباني السعيد (720-811هـ)،(1360-1408م)					+		+
علي الحمامي (1320-1370هـ)،(1902-1949م)	+						+
عليوة -ابن- (1291-1352هـ)،(1874-1934م)	+						
الغساني محمد بن إبراهيم (-663هـ)،(-1264م)	+					+	
الفكون -ابن- حسن (-602هـ)،(-1205م)	+	+					
القسنطيني أبو القاسم إبن سلطان (-995هـ)،(-1586م)					+		
قنفذ -ابن- أحمد (740-809هـ)،(1340-1406م)			+			+	
الكماد -إبن- (-1116هـ)،(-1704م)					+	+	
اللحام -إبن- محمد (558-614هـ)،(1163-1217م)	+				+		
المجاجي عبد الرحمان (ق 13ه)،(ق 19م)			+		+		
محشرة -إبن- محمد (450-858هـ)،(1135-1202م)	+				+		
المجاوي عبد القادر (1264-1332هـ)،(1848-1913م)	+						
مرزوق بن الحفيد (766-842هـ)،(1364-1434م)	+			+	+	+	+
المسيلي أحمد (-538هـ)،(1143م)	+	+					
المشرفي أبو حامد (-1313هـ)،(-1895م)	+						